
معالم الرجولة
فى
القرآن الكريم



معالم الرجولة
فـى
القرآن الكريم

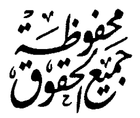
تأليف

عبد الكريم صالح

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بكلية القرآن الكريم - جامعة الأزهر





رقم الإيداع بدار هيئة الكتاب
٢٠٨٠٥/ ٢٠٠٤



٧٦ أ ش جسر السويس - ميدان الألف مسكن
القاهرة ت : ٤٩٣١٠٧٤ - ٠١٢/٣٧٣٧٣٥٢
E-mail: muhaddethin@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله ومن والاه، وبعد..

فإن القرآن الكريم حين يعرض معلما من معالمه ، أو منهجا أخلاقيا من مناهجه إنما يعرضه في نماذج بشرية نابضة بالحياة والحركة ، يعرضه مقترنا بآثاره الطيبة أو الخبيثة ، يعرضه على شكل موقف تاريخي أو قصة حافلة بالأحداث، أو موقعة بين الحق والباطل وهكذا.

ومن خلال هذه المشاهد جميعًا تتحرك الأخلاق في صورة واقعية فيتحرك معها قلب الإنسان، ويجيش في خاطره وتمتلئ نفسه بدواعي التأثر والقدوة .

هذا المنهج الذي ارتضاه الله تعالى في قرآنه هو نفسه المنهج الذي يريده لعباده، يريد منهم أن يتحركوا بهذه المعالم وتلكم الأخلاق على أرض الواقع ، وأن يحولها إلى موقف وإلى عمل وسلوك .

أمّا أن تصبح المعالم والأخلاق مجرد بحوث نظرية تدرس ولا تغرس فذلك الإفلاس في التربية، والجهل بأهداف الكتاب العزيز .

ومن بين المعالم القرآنية، والأخلاق الإسلامية ، الرجولية ، تلك الصفة الجامعة لكل صفات الشرف من اعتزاز بالنفس واحترام لها وشعور عميق بأداء الواجب مهما كلف صاحبه من تعب .

وكذلك إذا ما تتبعنا معالم الرجولية لوجدناها صفة أساسية في الفرد ضرورية له ، بل هي أساس في تكوين المجتمع المتقدم المتحضر العزيز أهله، لذا فإذا اكتملت عناصر الرجولية في شعب من الشعوب فقد تهيأ للوثوب، وتحفز للنهوض، وإذا سرت معاني الرجولية في مجتمع عاش عالي الهمة، مرفوع الرأس، وأصبح ذا منعة وبأس.

ومقياس أي أمة من الأمم لا يعظم بعدد ولا عتاد ، ولكنه يعظم ويعلو بمقدار ما يحمل أفراده من معاني ومعالم الرجولية الحقة في نفوسهم.

من هنا فإن أهم الفروق التي تميز المسلمين في أول أمرهم وفجر حياتهم عن مسلمي اليوم" خلق الرجولية " فقد ترنم العصر الإسلامي الأول بمن كانوا هامة الشرف وعزة المجد وعنوان الرجولية، وتتجلى هذه الرجولية في سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه وذلك في جميع مواقفه، فحياته ﷺ كلها سلسلة من مظاهر الرجولية الحقة، والبطولة الفذة .. حتى قبضه الله تعالى إليه، لم يترك ثروة كما فعل ذوو السلطان إنما خلف مبادئ خالدة على مدى الدهر، كما ربى رجالا يرعونها وينشرونها حتى صارت

الرجولية على رؤوسهم تاجًا من تيجان الشرف، وحليةً من حلي الفخار، وشعارًا من شعائر المجد، والتاريخ خير شاهد لهم.

فهذا فاروق الأمة وعملاق الإسلام عمر بن الخطاب ﷺ يقف ذات يوم في مسجد النبي صلوات الله وسلامه عليه ويقول لبعض الصحابة : ليذكر كل منكم أعظم شيء يتمناه ، قال أحدهم : أتمنى أن يكون لي مثل أحد ذهبًا أنفقه في سبيل الله ، وقال آخر : أتمنى أن يكون لي ملء المدينة خيلًا أغزو به في سبيل الله ، وقال ثالث : أتمنى أن يكون لي ألف عبد أعتقهم ابتغاء مرضاة الله .... وأخذ كل منهم يذكر ما يتمنى ، وأمير المؤمنين يدير النقاش بينهم ، ثم توجهوا إليه قائلين : فماذا تتمنى أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: أتمنى ملء هذا المسجد رجالا أمثال أبي بكر الصديق ﷺ.

قلت: كيف لا يتمنى أمير المؤمنين عمر ﷺ ذلك وهو الذي لم يكد يعلن إسلامه، ويرى انزواء المسلمين بدينهم، واختفاءهم بعقيدتهم حتى قال : يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ ولما قال له النبي ﷺ: " بلى " قال له: علام الدنيَة إذن ؟ وكان هو مبدأ انتفاع المسلمين برجولته، ومطلعًا من مطالع استجابة دعوة صفوة الخلق : " اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك" ثم تلا ذلك موقفه في الهجرة وغيرها من المواقف الخالدة المشهودة .

إنما الرجولية الحقيقية التي لا ميوعة فيها ولا تخنث، ولا يذوب صاحبها صبابة، ولا يلتاع هياما ، ولا يفقد رجوليته .

إنما الرجولية الحقة التي لم تخرج عن كونها امتثالا لما جاء به رسول الله ﷺ .

وفي الجملة فإن الرجولة معلم بارز من معالم الدين الإسلامي الحنيف، وليست كلمة تقال هكذا عبثا، وليس معيار الرجولة كما يدعيه كثير من السطحيين يتمثل في مجموعة من المواصفات الجسمية التي تعني القدرة الجنسية ، أو الفحولة والعضلات المفتولة والقامة الطويلة والشوارب التي تقف عليها الصقور ! لا ، وإنما هي كلمة لها وقعها لم تخرج عن كونها امتثالا لما جاء به رسول الله ﷺ ، لها تكاليف وتبعات، ولها أهلها الذين يستحقون أن يوصفوا بها، ولا يقال لغيرهم رجال أبدا، فما من فضيلة من الفضائل ولا مكرمة من المكارم إلا وللرجولة فيها مدخل ولها إليها انتماء .

وقد وفقني المولى، تبارك وتعالى، وتتبعت لفظ [**الرجال**] في القرآن الكريم وقمت بدراسة هذه الآيات دراسة تحليلية تبين مواطن العظة والعبرة من هؤلاء الرجال لنسير على دربهم ونهتدي بهديهم.

ولقد ارتسمت خطة لهذا البحث تتكون من مبحثين وخاتمة

المبحث الأول : بعنوان : " تمهيدات بين يدي البحث "

وفيه ما يلي :

- مفهوم الرجولة .
- مدلولات كلمة رجل في القرآن الكريم .
- الفرق بين الرجولة والذكورة .
- الفرق بين الرجولة والفتوة والمروءة والإنسانية .
- الآيات الواردة فيها مادة رجل في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : [معالم الرجولة في القرآن الكريم]

وفيه المطالب التالية : -

المطلب الأول :

المعلم الأول : الرجولة صفة من صفات الرسل عليهم السلام .

ويتصل به :

* الرجولية أمنية الأنبياء لأقوامهم .

* الرجولية اختيار أنبياء الله ورسله .

المطلب الثاني :

المعلم الثاني : الرجولة تعني الإيمان المطلق .

المطلب الثالث:

المعلم الثالث : الرجولة تعني الطهارة ظاهرا وباطنا .

المطلب الرابع:

المعلم الرابع : الرجولة تعني الشجاعة في قول الحق والنصح لله تعالى .

المطلب الخامس:

المعلم الخامس : الرجولية والصدق في العهد .

المطلب السادس :

المعلم السادس : الرجولية والثبات على العقيدة الصحيحة .

المطلب السابع:

المعلم السابع : الرجولية وتحمل الشهادة وأداؤها .

المطلب الثامن:

المعلم الثامن : الرجولية والقيام بحق القوامة وحسن التوجيه .

المطلب التاسع:

المعلم التاسع : الرجولية نعمة من النعم التي يُذكر بها .

المطلب العاشر :

المعلم العاشر : الرجولية ومشاهد يوم القيامة .

أما الخاتمة : فتتضمن نتائج البحث .

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث وأن يجعله حجة لي لا علـيَّ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

تمهيدات بين يدي البحث

وفيه ما يلي :

- مفهوم الرجولة .
- مدلولات كلمة رجل في القرآن الكريم .
- الفرق بين الرجولة والذكورة .
- الفرق بين الرجولة والفتوة والمروءة والإنسانية .
- الآيات الواردة فيها مادة رجل في القرآن الكريم.

مفهوم الرجولة

أولاً : في اللغة :

الرُجولة : بضم الجيم مصدر للرَّجُل والرَّاجي والأَرْجُل ، يقال : رجل جيد الرجلة ، ورجل بين الرجولة والرجلة والرجُّلة والرجولية . وهي من المصادر التي لا أفعال لها[١].

والرجل: الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأة .

جاء في " **مفردات القرآن** " للراغب الأصفهاني : " الرجل مختص بالذكر من الناس،ولذلك قال تعالى:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾(٢) ورجل بين الرجولة والرجولية[٣] .

وقيل : إنما يكون رجلا فوق الغلام ، وذلك إذا احتلم وشب ، وقيل : هو رجل ساعة تلده أمه إلى ما بعد ذلك[٤].

---

١ - لسان العرب لابن منظور [رجل] ١٥٩٦/٣ ط دار المعارف .

٢ - سورة الأنعام ٦ : آية ٩ .

٣ - المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٨٩ ط مصطفى البابي الحلبي .

٤ - **لسان العرب مصدر سابق .**

وجاء "في القاموس المحيط" لمجد الدين الفيروزبادي : " الرجل معروف ... والرجل الكامل .... ورجل بيِّن الرجولية .... وهو أرجل الرجلين : أشدهما... والرجيل: الرأي الصلب"[١] .

وفي " **أساس البلاغة** " لجار الله الزمخشري : " **هذا رجل أي كامل في الرجال بيّن الرجولة والرجولية، وهذا أرجل الرجلين ... وهو من رجالات قريش : من أشرفهم** ....."[٢].

وجاء في مجمع البيان للطبرسي: " يقال: رجل بين الرجلة أي القوة ، وهو أرجلهما أي : أقواهما، وفرس رجيل قوي على المشي، وسميت الرجل رجلا لقوتها على المشي .... وارتجل الكلام ارتجالا لأنه قوي عليه من غير ركوب فكرة، وترجل النهار لأنه قوي ضياؤه بنزول الشمس إلى الأرض ، ورجل شعره إذا طوله، وأصل الباب : القوة"[٣] .

ثانيا : في الاصطلاح :

لم تُعَرِّف كتب المصطلحات لفظ الرجولة بيد أنها عرفت الرجل.يقول الكفوي : واسم الرجل شرعا موضوع للذات من صنف الذكور من غير اعتبار

---

١ - القاموس المحيط .

٢ - أساس البلاغة للزمخشري ٣٢٥/١ ، ٣٢٦ .

٣ - مجمع البيان ٣٢٦/١ .

وصف مجاوزة حد الصغر ، أو القدرة على المجامعة ، أو غير ذلك ، فيتناول كل ذكر من بني آدم[١] .

وجاء في " **كشاف اصطلاحات الفنون** " : الرجل بالفتح وضم الجيم لغة مقابل المرأة ، وفي اصطلاح الفقهاء يطلق على الذكر الذي بإزائه أنثى من أحد الثقلين ، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ ﴾[٢]، والصبي والخصي داخلان في آية المواريث في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾[٣][٤].

تعقيب : من المفهوم اللغوي والاصطلاحي للرجولة أو الرجل يتضح لنا أنها لا تعدو عند بعض العلماء أن تكون مرحلة عمرية يمر بها كل ذكر من بني آدم، وأنها في أصلها تدل على مقابل الأنثى، ولكن في الحقيقة أن هذه الأمور التي ذكرها البعض لا علاقة لها بالرجولة، فربما كان الطفل بصفاته رجلا، وكان الرجل بصفاته طفلًا صغيرا . فكم رأينا من أناس تخطوا – بأعمارهم – مرحلة الرجولة التي حددها علماء اللغة وغيرهم، بل تخطوا الكهولة إلى الشيخوخة

---

١ - الكليات للكفوي ٣٩٣/١ .

٢ - سورة الجن ٧٢: آية٦.

٣ - سورة النساء ٤:آية ١٢ .

٤ -كشاف اصطلاحات الفنون . تأليف محمد علي الفاروقي التهانوي . تحقيق د/ لطفي عبد البديع ٧٢/٣ طـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

ومع ذلك فهم أرجل الرجال بعزائمهم، كما قال الشاعـــــر الحكيم :

عمـــــري بروحي لا بَعـــدِّ ســـنيني فلأسخرن غـــدا مـــن التسعيـــــن

جسمي إلى السبعين يزحف مســـرعا والـــروح ثابتـــة علـــى العشـــرين

والمرء بأصغريه : قلبه ولسانه .

وعليه فنقول : إن كلمة الرجولة ، أو الرجل لا تقتصر في دلالتـــها علـــى معناها اللغوي الأصلي أو الاصطلاحي فحسب ، بل تفهمنا مـــدلولا عرفيـــا خاصا يراد به في كثير من الأحيان مجموعة من صفات القوة والشرف والكـــرم وحسن الخلق حتى صح لأبي حفص النيسابوري[1] أن يجيب من سأله : من هم الرجال ؟ بقوله : " القائمون مع الله تعالى بوفاء العهود ، قال الله تعالى: { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه}[2] . وقال النيسابوري أيضـــا : " لكل وقت أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب الأوقـــات بلـــغ مبلـــغ الرجال"[3].

١ - أبو حفص : عمرو بن سلمة النيسابوري من كورداباذ على باب مدينة نيسابور، كان أحد الأئمة والسادة ، له أقوال حسنة وأحوال طيبة توفي سنة ٢٦٧هـ . طبقات الصوفية للسلمي صـ٢٧ .

٢ - سورة الأحزاب ٣٣ : آية ٢٣ .

٣ - طبقات الصوفية للسلمي صـ١٢٢ .

وقال أبو العزائم[1]: "ليس الرجل من كثرت إخوانه ، وإنما الرجل من انتقى إخوانه. قال حكيم: الرجل من حفظ الإخاء وداوم عليه ولا يكون ذلك إلا في المتقين. قال تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

وقال أيضا: " ليس الرجل من كثر ماله، ولا من نفذت كلمته، ولا من نال شهوته، ولا من حصل أغراضه وعلله، إنما الرجل من كان عدوه نفسه وحبيبه ربه "[3] .

من هنا صرنا نقول في مدح الشخص المتصف بالرجولة: " **إنه رجل** " ولا نريد أنه ضد الأنثى، بل نريد الثناء عليه، ووصفه بأنه ذو نخوة ، وأريحية ، وكرم وشهامة، وأن عنده " رجولية " تدعوه إلى مكارم الفعال، وتصده عن مواطن الرذيلة .

---

١ – أبو العزائم : محمد ماضي أبو العزائم ، فقيه متصوف مصري ، ولد في مدينة رشيد، وانتقل مع أبيه إلى محلة أبي علي (بالغربية من بلاد مصر) فتعلم بها، وعين مدرسا للشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم . ثم ترأس جماعة الخلافة الإسلامية بالقاهرة ، وتوفي بها سنة ١٨٦٩هـــ ، ١٩٣٧م . الأعلام للزركلي ١٦/٧ . ط دار العلم للملايين ـــ بيروت ١٩٨٠م .

٢ – سورة الزخرف .

٣ – من جوامع الكلم للإمام أبي العزائم صـــ ١١٨ ،١١٩طـــدار الكتاب الصوفي بالقاهرة ١٩٩٥ .

مدلولات كلمة " رجل " في القرآن الكريم :

القرآن الكريم وهو الذي يزخر بالمعاني، ويضم بين طياته جميع لغات ولهجات العرب نجده إذا ذكر كلمة " رجل " بأصلها اللغوي أراد منها معنى الذكر، وإذا ذكرها في مواطن تتعرض لأكثر من هذا الأصل ذكرها بنفحات من التكـــريم ، والإجلال ، والتقدير ، والتعظيم، فإذا ما ذكر مادة " **رجل**" مقرونة بأوصاف مذمومة فإنه ينقل هذه الأوصاف ، ويوردها منسوبة إلى المبطلين في القول، أو المارقين الخاطئين في التفكير، في هذا القسم تكريم مستور للرجـــل وإن بـــدت العبارة المنقولة وفيها أوصاف تذم أو تقدح.

وبذا نلمح أن لفظ " الرجل " أو " الرجال " يذكر في القرآن الكريم – غالبا – لمدلولات ثلاثة :

أولها: أن يذكر لفظ "**الرجل** " أو "**الرجال** " بالمعنى الأصلي وهو الذكورة فيقول جل شأنه:﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾[1]،ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾[2] .

ويقول عز من قائل: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [1].

---

[1]- سورة النساء ٤ : آية ٧ .

[2] - سورة النساء ٤ : آية ٣٢ .

نفهم من أمثال هذه الآيات الكريمة أن كلمة "**الرجل**" ذكرت فيها مراد بها مقابل الأنثى،ويجري الحديث عنه بأحكام عادية،قد تتساوى معه فيها الأنثى ، أو لا تتساوى ولكن لا يظهر فيها قصد التكريم ، بل إنها غالبا ما تأتي في مقام التشريع لذا فإني لن أعرج عليها في ثنايا البحث كثيرا .

ثانيها : أن يذكر لفظ " **الرجل**" أو " **الرجال** " مشمولا بالمدح، والتعظيم، مطويا ، أو منشورا ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها على سبيل المثال قوله تعالى :﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ[٢]﴾ ، وفي هذا ثناء على الرجال وتفضيل لهم، وتنبيه على جلال تبعاتهم.

ويقول المولى جلت قدرته علـــى لسان نبيه لوط ﷺ:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾(٣) .

وكأن نبي الله لوط (عليه السلام) يريد أن يقول لهؤلاء المجرمين الذين أرادوا الاعتداء على أضيافه وارتكاب الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين : لو كـــان فيكم رجل تتحقق فيه سمات الرجولة لما سمحت له نفسه أن يقدم على ذلـــك الإجرام الفظيع ، ولكن أين أنتم من رشد الرجولية وكمال الرجال.

---

[١] - سورة الأحزاب ٣٣ : آية ٤٠ .

[٢] - سورة النساء ٤ : آية ٣٤ .

[٣] - سورة هود ١١ : آية ٧٨ .

ففي هاتين الآيتين وغيرهما مما سنذكره إن شاء الله تعالى في ثنايا هذا البحث إظهار لفضل الرجال وتنويه بشأنهم .

ثالثها : أن يذكر لفظ " الرجل " موصوفاً بأوصاف سيئة ، ولكنها أوصاف صادرة عن الكافرين المارقين الظالمين ، فسجلها الله تعالى عليهم، مخطئا لهم فيها، وكأنه يريد أن يقول: إنه لا يذم الرجل ذا الرجولية إلا الكافر الجاهل الظالم، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

ما قصه القرآن الكريم علينا على لسان الظالمين من قوم نوح عليه السلام: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [1].

يتطاولون على نبي الله نوح عليه السلام فيصفونه بالجنون ، والخبل ويتآمرون بالصبر عليه لعله يضيق ، يفعلون ذلك وهم يعلمون أنه أرجح الناس عقلاً وأوزنهم قولاً.

ومثل هذا قوله تبارك وتعالى على لسان الكافرين:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

وفي سورة سبأ : ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ [3].

---

[1] - سورة المؤمنون ٢٣ : آية ٢٥ .

[2] - سورة المؤمنون ٢٣ : آية ٣٨ .

[3] - سورة سبأ ٣٤ : آية ٤٣ .

وفي سورة الإسراء :﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[١] في سورة الفرقان : ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[٢].

لكأن الله تعالى يصور لنا مدى القبح الذي وقع فيه هؤلاء المكذبين ، والتناقض الذي درجوا عليه تكبرا وعنادا، إذ أنهم يعلمون أن الرسل رجال بما تحمل الكلمة من معان – ولذا لم ينفوا عنهم هذا الوصف مع شدة حرصهم على تجريحهم ، والنيل منهم ، بل أثبتوه لهم– ومع ذلك يدعون عليهم ما لا يليق بالرجل فضلا عن أسمى الرجال .

الفرق بين الرجولة والذكورة :

الرجولة في غير معناها الأصلي كلمة عظيمة لها إيحاءات كريمة تختلف – بلا شك – عن إيحاءات كلمة الذكورة ، وإن شئنا الدقة قلنا: إن الذكورة لبيان النوع والجنس ، والرجولة أو الرجولية لبيان الحقيقة والكيف .

أما من ناحية النوع فقد قال المولى جل ثناؤه:﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾[٣] ، وأما من ناحية الكيف فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ مِّنَ

---

[١] - سورة الإسراء ١٧ : آية ٤٧ .

[٢] - سورة الفرقان ٢٥ : آية ٨ .

[٣] - سورة النجم ٥٣ : آية ٤٥ .

ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ [1] ، و لم يقل : كل المؤمنين رجال ... مع أنهم جميعا ذكور .... فتنبه !

من هنا نقول : ليس كل ذكر رجلا إنما الرجولة كلمة لها وقعها، وصفة من أعظم الصفات، وسلوك راق، وموقف إنساني ينبع من تعاليم الإسلام ، ويترجم أحكامه ، ومبادئه إلى واقع ملموس مشاهد .

الفرق بين الرجولة والفتوة والمروءة والإنسانية:

هذه الصفات الأربع يرجع اشتقاقها إلى جنس الذكور وما يتحلون به من صفات القوة ونحوها، فالرجولة نسبة إلى الرجل، والفتوة ترجع إلى الفتى، والمروءة إلى المرء، والإنسانية ترجع إلى الإنسان، وفي المجال الأخلاقي " **أو الاصطلاحي** " نجد المقصود بالمروءة ، والإنسانية[2] أعم من نظيريهما الفتوة والرجولة ؛ وذلك لأن المرء ، أو الإنسان قد يكون فتى شابا ، أو رجلا كهلا، والرجولة في أظهر معانيها تعني اتصاف الإنسان بما يوصف به الرجال عادة من نحو تحمل الأعباء الثقال ، ومن أبرز ذلك تحمل الرسل الكرام لأعباء الرسالة كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً ﴾[3] ، ومن ذلك صدق الرجل فيما عاهد الله عليه :

---

[1] - سورة الأحزاب ٣٣ : آية ٢٣ .

[2] - سوى ابن القيم بين صفتي المروءة والإنسانية وجعلهما مترادفتين .

[3] - سورة الأنبياء ٢١ : آية ٧ .

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [١]،ومنها حب التطهر : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ﴾[٢]، ومنها أن الرجل لا تشغله العوارض عن ذكر الله ، والعمل للآخرة مصداق ذلك قول الله تعـالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾[٣]

فالرجل الحق على ذلك هو من يتحمل الأعباء وينهض بها ويصدق العهـد ويحب التطهر ولا تشغله سفاسف الأمور عن معاليها[٤].

أما الفتوة فإنها تعني اتصاف المرء بما يوصف به الفتى من النجـدة والنشـاط وتوقد الذكاء ، قال طرفة :

إذا القوم قالوا من فتى ؟ خلت أنـني   عُنِيت فلـم أكسل ولم أتبلـد[٥]

وقال بعض الشعراء:

ولا تتوقف الفتوة على المال أو الجاه ، وإنما على شرف الأعمال والخصال .

---

[١] - سورة الأحزاب ٣٣ : آية ٢٣ .

[٢] - سورة التوبة ٩ : آية ١٠٨ .

[٣] - سورة النور ٢٤ : آية ٣٧ .

[٤] - ينظر : موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١ . إعداد مجموعة من المختصين بإشراف : صالح بن عبد الله بن حميد ، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح ٢٠٤٢/٥ طـ دار الوسيلة ، المملكة العربية السعودية .

[٥] - شرح المعلقات السبع للإمام الأديب المحقق القاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني صـ ٤٥ . طـ المكتبة التجارية الكبرى .

قال الشاعر :

قد يُـدرك الشـرفَ الفـتى ورداؤُهُ خَلَقٌ وجَيْـب قميصـه مَرْقُـوع[1]

لقد لاحظ العرب بعض هذه المعاني ، فقال الجوهري :الفتى : السخي الكريم، يقال : هو فتى بين الفتوة[2] ، ويتأكد هذا المعنى اللغوي للفتوة بما جاء في الذكر الحكيم من وصف أهل الكهف بأنهم ﴿ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ ﴾[3] ، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن صفة الفتوة فيهم تفيد قوة تحملهم وصلابة عزيمتهم وكمال عقولهم المتمثل في الإيمان بالله تعالى[4] .

يقول أبو الفداء ابن كثير في تفسير الآية الكريمة : " ذكر الله تعالى أنهم فتية ، وهم الشباب ، وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قـد عتـوا وانغمسوا في دين الباطل ، ولهذا كان أكثر المتحمسين لله ورسوله شبابا ، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ، ولـم يُسْلِم منهم إلا القليل"[5] .

---

[1] - انظر : لسان العرب ١٤٦/١٥ .

[2] - لسان العرب [فتا] ٣٣٤٨/٥ .

[3] - سورة الكهف ١٨ : آية ١٣ .

[4] - موسوعة نضرة النعيم ٢٠٤٢/٥ .

[5] - ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٣/٣ -٦٤ ط عيسى البابي الحلبي.

وبهذا يتضح أن الفتوة تشير إلى معانٍ ذات قيمة أخلاقية عظمى ، حتى وإن كانت في الأصل لا تُشعر بمدح ولا ذم كما يقول الفيروزبادي[١] ، ثم انتقلت اللفظة بعد ذلك للدلالة على معنى " استعمال الأخلاق الكريمة مع الخَلْق" كما يقول ابن القيم – رحمه الله –[٢]:"ومعنى هذه العبارة أن الفتوة هي التطبيق العملي والتنفيذ الفعلي لما تقتضيه الأخلاق الحميدة التي لا بد أن يتحلى بها من اتصف بالفتوة ، وقد عدها – رحمه الله تعالى – من منازل { إياك نعبد وإياك نستعين } فقال : حقيقة هذه المترلة هي الإحسان إلى الناس ، وكف الأذى عنهم ، واحتمال أذاهم ، وهي إذن نتيجة حسن الخلق ، واستعمالُهُ [**أي إخراجه إلى حيز الوجود بعد أن كان هيئة راسخة في النفس**][٣].

وأقدم من تكلم في الفتوة جعفر الصادق[٤] ثم الفضيل بن عياض[٥] ،

---

[١] - بصائر ذوي التمييز ١٧١/٤ .

[٢] - مدارج السالكين ٣٥٣/٢ .

[٣] - موسوعة نضرة النعيم ٢٠٤٣/٥ .

[٤] - جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي ٢م ، ولد سنة ورأي بعض الصحابة، من جملة علماء المدينة توفي سنة ١٨٤هـ . السير ٢٥٥/٦

[٥] - أبو علي الفضيل بن عياض من مرو، كان قاطع طريق فهداه الله فصار من أئمة القوم، وأنظر تصوير الواقعي البديع بتوبته في وحي القلم توفي بمكة في محرم سنة ١٨٧هـ/٨٠٣م . الرسالة القشيريةص٤٢٤.

والإمام أحمد بن حنبل[1] ، وسهل بن عبد الله التستري[2] ، والجنيد[3] (ومن سار على نهجهم) ، وقد سئل جعفر الصادق عن الفتوة فقال للسائل: ما تقول أنت؟ قال : إن أُعطِيت شكرت، وإن مُنِعتُ صبرت ، فقال جعفر : لكن المروءة عندنا: إن أُعطينا آثرنا ، وإن مُنعنا شكرنا[4].

وقال الفضيل بن عياض: الفتوة : الصفح عن عثرات الإخوان[5].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى[6].

وقال الجنيد: الفتوة ألا تنافر فقيرا ولا تعارض غنيا[7].

وقال الحكيم الترمذي : الفتوة أن تكون خصيما لربك على نفسك ، وقيل: هي ألا ترى لنفسك فضلا على غيرك[8] .

---

[1] - إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل، نشأ ببغداد يتيما ، وتعلم الحديث ورحل وسافر ، ثبت في محنة خلق القرآن ، له " المسند" . السير ١٧٧/١١ .

[2] - أبو محمد سهل بن عبد الله نسبة إلى تستر ، كان من الزهاد ، لقي ذا النون المصري ولم يكن له نظير في الورع توفي سنة٢٨٣هـ. الرسالة القشيرية صـ٤٠٠

[3] - أبو القاسم الجنيد بن محمد سيد الطائفة نشأ بالعراق ، صحب خاله السري ، من الفقهاء العباد المتورعين ، توفي سنة ٢٩٧هـ. الرسالة القشيرية صـ٤٣٠.

[4] - مدارج السالكين ٣٥٤/٢ ، وبصائر ذوي التمييز ١٧١/٤ .

[5] - المصدر السابق .

[6] - المصدر السابق .

[7] - المصدر السابق .

[8] - السابقان .

وقد لخص الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – هذه الأقوال عندما ذكر أن أصل الفتوة عندهم أن يكون العبد أبدا في أمر خدمة غيره[١] .

وهذا الخلق الرفيع لا يتأتى بكماله إلا لرسول الله ﷺ – كما يقول الدقاق[٢] – فإن كل أحد يقول يوم القيامة: نفسي نفسي، وهو يقول : أمتي أمتي[٣] .

وفيما يتعلق بالفرق بين المروءة ، والفتوة فيتمثل في أن بينهما عموما وخصوصا يقول الإمام ابن القيم موضحا لهذا الفرق : الفتوة نوع من أنواع المروءة ، إذ المروءة استعمال ما يَجْمُل ، ويَزِيْن مما هو مختص بالعبد ، أو متعد إلى غيره ، وترك ما يدنس ، ويَشين مما هو مختص أيضا به ، أو متعلق بغيره ، أما الفتوة فهي استعمال الأخلاق الكريمة مع الخَلق، أي أن المروءة تتعلق بالنفس ، وبالغير، والفتوة تتعلق بالغير فقط، إذ هي أن يكون المرء في خدمة غيره، أما صفة الإنسانية فهي والمروءة سواء[٤].

ومما تجدر الإشارة إليه أن مادة رجل وردت في القرآن كذا مرة، وهذه الآيات حسب ورودها كما يلي :

---

١ – مدارج السالكين ٢/٣٥٥ .

٢ – أبو علي الحسن بن محمد بن علي الدقاق ، أستاذ القشيري وصهره ، كان إمام فنه منقطع النظير في زمانه توفي سنة ٤٠٥هـ . نفحات الأنس صـ٢٩١ ، كشف المحجوب ١/٣٧٧ .

٣ – ورد هذا في حديث الشفاعة وهو عند البخارى في صحيحه كتب التفسير سورة الإسراء (٦/ فتح البارى) ومسلم كتاب الإيمان باب" أدنى أهل الجنة منزلة فيها" رقم ١٩٤.

٤ – مدارج السالكين .

الآيات الواردة فيها مادة رجل في القرآن الكريم:

وردت المادة في كتاب الله تعالى باشتقاقات كثيرة ، فوردت بلفظ: رجل، رجلا، رجلان، رجلين، الرجال ، رجالا ، رجالكم ، وهذا بيانها :

قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ (١) .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾(٢) .

﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ (٣) .

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ (٤) .

﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾ (٥) .

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ (٦) .

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(٧) .

---

(١) - سورة البقرة ٢ : آية ٢٨٢

(٢) - سورة البقرة ٢ : آية ٢٢٨ .

(٣) - سورة النساء ٤ : آية ١ .

(٤) - سورة النساء ٤ : آية ٧ .

(٥) - سورة النساء ٤ : آية ١٢ .

(٦) - سورة النساء ٤ : آية ٣٢ .

(٧) - سورة النساء ٤ : آية ٣٤ .

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ ﴾[1] ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾[2]

﴿ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾[3].

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾[4].

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [5].

﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ [6].

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ﴾[7].

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾[8].

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾[9]

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾[10] .

---

[1] - سورة النساء ٤ : آية ٧٥ .

[2] - سورة النساء ٤ : آية ٩٨ .

[3] - سورة النساء ٤ : آية ١٧٦.

[4] - سورة المائدة ٥ : آية ٢٣.

[5] - سورة الأنعام ٦ : آية ٩.

[6] - سورة الأعراف ٧ : آية ٤٦.

[7] - سورة الأعراف ٧ : آية ٤٨.

[8] - سورة الأعراف ٧ : آية ٦٣.

[9] - سورة الأعراف ٧ : آية ٦٩ .

[10] - سورة الأعراف ٧ : آية ٨١ .

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾ (١) .

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ (٢) .

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾(٣).

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ (٤).

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾(٥).

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ (٦).

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُورًا ﴾ (٧) .

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾(٨).

﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلاً ﴾ (٩).

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ (١٠) .

---

[١] - سورة التوبة ٩ : آية ١٠٨ .

[٢] - سورة يونس ١٠ : آية ٢.

[٣] - سورة هود ١١ : آية ٧٨ .

[٤] - سورة يوسف ١٢ : آية ١٠٩.

[٥] - سورة النحل ١٦ : آية ٤٣ .

[٦] - سورة النحل ١٦ : آية ٧٦ .

[٧] - سورة الإسراء ١٧ : آية ٤٧ .

[٨] - سورة الكهف ١٨ : آية ٣٢ .

[٩] - سورة الكهف ١٨ : آية ٣٧ .

[١٠] - سورة الأنبياء ٢١ : آية ٧ .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[1] .

﴿ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ﴾ [2].

﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[3].

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [4].

﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾[5].

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾[6] .

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [7].

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [8].

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [9].

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [10].

---

[1] - سورة المؤمنون ٢٣ : آية ٢٥ .

[2] - سورة النور ٢٤ : آية ٣١ .

[3] - سورة الفرقان ٢٥ : آية ٨ .

[4] - سورة النمل ٢٧ : آية ٥٥ .

[5] - سورة القصص ٢٨ : آية ١٥ .

[6] - سورة القصص ٢٨ : آية ٢٠ .

[7] - سورة العنكبوت ٢٩ : آية ٢٩ .

[8] - سورة الأحزاب ٣٣ : آية ٤ .

[9] - سورة الأحزاب ٣٣ : آية ٢٣ .

[10] - سورة الأحزاب ٣٣ : آية ٤٠ .

﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾[١]

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾[٢] .

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾[٣].

﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴾[٤].

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾[٥].

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾[٦].

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٧].

﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ ﴾ [٨]

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾[٩] .

---

[١] - سورة سبأ ٣٤ : آية ٧ .

[٢] - سورة سبأ ٣٤ : آية ٤٣.

[٣] - سورة يس ٣٦ : آية ٢٠ .

[٤] - سورة ص ٣٨ : آية ٦٢.

[٥] - سورة الزمر ٣٩ : آية ٢٩ .

[٦] - سورة غافر ٤٠ : آية ٢٨ .

[٧] - سورة الزخرف ٤٣ : آية ٣١ .

[٨] - سورة الفتح ٤٨ : آية ٢٥ .

[٩] - سورة الجن ٧٢ : آية ٦ .

المبحث الثاني
معالم الرجولية في القرآن الكريم

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : المعلم الأول : الرجولة صفة من صفات الرسل عليهم السلام .

ويتصل به : الرجولية أمنية الأنبياء لأقوامهم .

الرجولية اختيار أنبياء الله ورسله .

المطلب الثاني : المعلم الثاني : الرجولة تعني الإيمان المطلق .

المطلب الثالث المعلم الثالث : الرجولة تعني الطهارة ظاهرا وباطنا .

المطلب الرابع : المعلم الرابع : الرجولة تعني الشجاعة في قول الحق والنصح لله تعالى .

المطلب الخامس : المعلم الخامس: الرجولة والصدق في العهد .

المطلب السادس : المعلم السادس: الرجولة والثبات على العقيدة الصحيحة

المطلب السابع **المعلم السابع :** الرجولة وتحمل الشهادة وأداؤها .

المطلب الثامن : **المعلم الثامن :** الرجولة والقيام بحق القوامة وحسن التوجيه .

المطلب التاسع : **المعلم التاسع :** الرجولة نعمة من النعم التي يذكر بها.

المطلب العاشر : **المعلم العاشر :** الرجولة ومشاهد القيامة .

المطلب الأول

المعلم الأول

الرجولية صفة من صفات الرسل عليهم السلام

درجت عادة الناس قديما وحديثا على عدم التقدير الواجب للقيم المجـــردة؛ حتى تتجسد في نماذج محددة، ولذلك أراد المولى جلت قدرته أن تتلبس شرائط الرجولية ، ومقوماتها بأعظم النماذج الإنسانية ، وهم الأنبياء عليهم الســـلام، والمستقرئ لكتاب الله العزيز، والمتتبع لآياته البينات يلمح أن صـــفة الرجوليـــة معلم من معالم الرسل، فلقد وصف الله تبارك وتعالى رسله المبلغين وحيـــه إلى خلقه بصفة الرجولية في مواضع عديدة في القرآن الكريم، وذلك عندما تعجب الكافرون المعاندون لإرسال الله رسله ، وهذا الأمر متكرر في الكتاب العزيز.

ففـــي قصة شيخ الأنبياء نوح عليه السلام يقول ربنا عز وجل: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] .

وصفت الآية الكريمة نبي الله نوح عليه السلام بأنه " **رجل** " كامـــل الرجوليـــة ، وذلك بعد أن دعا قومه بتلطف وأدب إلـــى عبادة الله وحـــده خشـــية أن يصيبهم عذاب يوم عظيم وقعه، شديد هوله، ولكن بدل أن يجيبوا بالتصـــديق ،والإذعان قابلوا رقته ، وأدبه بغلظة، فكان جوابهم أن قال الأشراف — الـــذين

---

[1] - سورة الأعراف ٧ آية : ٦٣ .

يملأ العيون مرآهم عظمة، وتتوجه العيون في المحافل إليهم، وهكذا أشراف الأمم ورؤساؤهم دائما أعداء للهداة والمرشدين – قالوا : إنّا لنراك في غمرة من الضلال أحاطت بك ، إذ كيف تنهانا عن عبادة آلهتنا : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ؟ إن هذا لضلال مبين ظاهر في نفسه حتى كأنه يظهر ذلك لغيره[1].

ويرد نبي الله نوح عليه السلام على قومه بأسلوب عفٍّ مهذب ، فينفي عن نفسه الضلالة ، ويكشف لهم عن حقيقة دعوته فيقول كما يقص القرآن الكريم عنه: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ ﴾[2] أي قال نوح لقومه مستميلا لقلوبهم : يا قوم ليس بي أدنى شيء مما يسمى بالضلالة فضلا عن الضلال المبين الذي رميتموني به، وبذا نلمح أنه قد نفى الضلال عن نفسه الكريمة على أبلغ وجه، لأن التاء في قوله{ **ضلالة**} للمرة الواحدة منها، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى ، والمقام يقتضي ذلك؛ لأنهم لما بالغوا في رميه بالضلال المبين، رد عليهم بما يبرؤه من أي لون من ألوانه[3].وفي تقديم الظرف { **بي** } تعريض بأنهم في ضلال واضح[4].

---

[1] - يراجع : نظم الدرر ٤٨/٣ بتصرف .

[2] - سورة الأعراف ٧ :آية ٦١ .

[3] - يراجع : الانتصاف لأحمد بن المنير ١١٤/٢ بهامش الكشاف . ط دار الريان للتراث .

[4] - يراجع : تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ٤٣٨/٨ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ثم قفى على نفي الضلالة عنه بإثبات مقابلها لنفسه وهي الهداية والتبليغ عن الله تعالى فقال:﴿ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

فنحن نرى أن نبي الله نوحا — عليه السلام — بعد أن نفى عن نفسه أي لون من ألوان الضلالة وصف نفسه بأربع صفات كريمة:

أولها : قوله ﴿ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي : لست بمنجاة من الضلال الذي أنتم فيه فحسب ، ولكني فضلا عن ذلك رسول من رب العالمين إليكم أهديكم بإتباعي إلى ما يوصلكم إلى السعادة في دنياكم وآخرتكم، وأنقذكم من الضلال الأبدي بسبب شرككم بالله ، ومعاصيكم المدنسة للأنفس، والمفسدة للأرواح [1] .

قال الجمل في حاشيته : " وقد جاءت { **لكن** } هنا أحسن مجيء لأنها بين نقيضين ، لأن الإنسان لا يخلو من أحد شيئين : ضلال أو هدى ، والرسالة لا تجامع الضلال ... " [2].

ثانيها : قوله: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي ﴾ أي: أبلغكم ما أوحاه الله إليَّ من الأوامر ، والنواهي، وجميع أنواع التكاليف من أحوال الدنيا ، والآخرة وغيرهما لا أزيد فيها ولا أنقص منها كما هو شأن كل رسول مطيع [1].

---

[1] - يراجع المصدر السابق ، وتفسير المراغي ٣٣٢/٨بتصرف يسير .

[2] - ينظر: حاشية الجمل ١٥٤/٢ .

قال الإمام الألوسي : " وجمع الرسالات مع أن رسالة كل نبي واحدة؛ رعاية لاختلاف أوقاتها ، أو تنوع معاني ما أرسل عليه السلام به من العبادات والمعاملات، أو أنه أراد رسالته ، ورسالة غيره ممن قبله من الأنبياء كإدريس عليه السلام ...." [٢].

وثالثها : قوله : { **وأنصح** [٣] **لكم** } بتحذيركم عقاب الله على كفركم وتكذيبكم لي وردكم نصحي .

ولما كان الضلال من صفات الفعل اكتفى بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث في قوله : { **وأنصح** } ، وفي زيادة : { **لكم** } مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة ، وأنها وقعت خالصة للمنصوح مقصودا بها جانبه لا غير ، فرب

---

١ - نظم الدرر ٤٩/٣ بتصرف .

٢ - ينظر : روح المعاني ١٥٢/٨ .

٣ - أنصح : مأخوذ من النصح وهو - كما قال الإمام القرطبي - : إخلاص النية من شوائب الفساد ، يقال : نصحته ونصحت له نصيحة ونصاحة – أي أرشدته إلى ما فيه صلاحه – ويقال : رجل ناصح الجيب أي : نقي القلب ، والناصح : الخالص من العسل وغيره ، مثل الناصع ، وكل شيء خلص فقد صح .

والفرق بين تبليغ الرسالة وبين النصح هو أن تبليغ الرسالة معناه أن يعرفهم جميع أوامر الله ونواهيه وجميع أنواع التكاليف التي كلفهم الله بها ، وأما النصح فمعناه أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم من عذاب الله إن عصوه .

الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/٧ ، حاشية الجمل ١٥٤/٢ .

نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ، ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله ورسله عليهم السلام [١].

قال الإمام البقاعي – رحمه الله – : " وقصر الفعل { **أنصح** } فيه دلالة على تخصيص النصح بهم ومحضه لهم" [٢].

وأما الصفة الرابعة: فهي قوله:﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي : وأنا في هذا التبليغ ، وذلك النصح على علم من الله تعالى أوحاه إليّ لا تعلمون منه شيئا ، كما أني أعلم من الله تعالى ، وشئونه ما لا تعلمون في نظام هذا العالم وما ينتهي إليه ، كما أعلم ما بعده من أمر الآخرة والجزاء ، فإذا نصحت لكم ، وأنذرتكم عاقبة شرككم من إنزال العذاب بكم في الدنيا إذا جحدتم ، وعاندتم فإنما أنصح لكم عن علم يقيني لا تعلمونه [٣].

وبعد أن وصف شيخ الأنبياء نوح عليه السلام نفسه بتلك الصفات الأربع ، وبين لهم وظيفته أكمل بيان ، أخذ ينكر عليهم استبعادهم أن يخصه الله بالنبوة فقال: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ أي: أكذبتم ، وعجبتم أن جاءكم ذكر ، ووعظ من

---

[١] – الكشاف للزمخشري ١١٥/٢ ، تفسير المنار ٤٣٨/٨ .

[٢] – ينظر : نظم الدرر٤٩/٣ .

[٣] – تفسير المراغي ٣٣٣/٨ ، ويراجع تفسير المنار ٤٣٨/٨ ، ٤٣٩ .

ربكم على لسان رجل كامل في الرجولية ، وهو مع ذلك بحيث لا تتهمونه فإنه { **منكم** } من جنسكم تعرفون مولده ، ونشأته.[١]

وفي قوله:﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ بيان لشبهتهم على الرسالة، وهي أن الرسول بشر مثلهم، فكأنهم كانوا يرون أن الاشتراك في البشرية ، والصفات العامة يقتضي التساوي في جميع الخصائص ، والمزايا ، ويمنع الانفراد بشيء منها، والمشاهدة أكبر برهان على بطلان هذه القضية، فالتفاوت في الغرائز،والصفات الفاضلة ، والاختلاف في القوى العقلية ، والمعارف ، والأعمال الكسبية — جد عظيم في البشر ، وليس في الأنواع الأخرى ما يشبه الإنسان في ذلك — إلى أنه لو فرض التساوي بينهم، فهل هذا يمنع أن يختص الله بعض عباده بما هو فوق المعهود في الغرائز والمكسب بالتعلم ؟ كلا، إنه تعالى قدير على ذلك، وقد قضت به مشيئته، ونفذت به قدرته [٢].

وبذا فقد وُصف شيخ الأنبياء نوح عليه السلام بصفة الرجولية الكاملة التي تؤهله لأن يكون رسولا يتلقى وحي ربه ويبلغه إلى قومه .

وكما وصف القرآن الكريم نوحا بالرجولية كذلك وصف هودا بتلك الصفة، قال تعالى : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ

---

[١] - نظم الدرر ٤٩/٣ بتصرف .

[٢] - تفسير المنار ٤٣٩/٨ ، وينظر : تفسير المراغي ٣٣٣/٨ .

مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

وخلاصة القصة : أن نبي الله هودا يجئ بعد نوح إلى قومه عاد فيدعوهم دعـوة نوح إلى الله ، ويحضهم على إفراد الله تعالى بالعبادة بأسـلوب الاسـتعطاف والتلطف قائلا لهم : { .... يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غـيره [٢] أفـلا تتقون } [٣].

قال أبو حيان:" وفي قوله: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ استعطاف وتحضيض على تحصيل التقوى ، ولما كان ما حل بقوم نوح من أمر الطوفان واقعة لم يظهر في العالم مثلها قال لهم:﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

وواقعة هود كانت مسبوقة بواقعة نوح ، وعهد الناس قريب بها فـاكتفى هود بقوله لهم : ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ والمعنى : تعرفون أن قوم نوح لما لم يتقوا الله ، وعبدوا غيره حل بهم ذلك العذاب الذي اشـتهر خـبره في الـدنيا، فقوله:﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ إشارة إلى التخويف بتلك الواقعة المشهورة "(٤).

---

[١] - سورة الأعراف ٧ : آية ٦٩ .

[٢] - كلمة { غيره } قرئت بالحركات الثلاث ، بالرفع على أنها صفة ؛ لأنه باعتبار محله الذي هـو الرفع على الابتداء أو الفاعلية ، وقرأ الكسائي بالجر باعتبار اللفظ، وقرئ بالنصب على الاستثناء بمعنى { ما لكم من إله إلا إياه } .

[٣] - سورة الأعراف ٧ : آية ٦٥ .

[٤] - ينظر : البحر المحيط ١٢٣/٤ .

وكأنما عظم على هؤلاء الطغاة أن يستنكر عليهم نبي الله هود عليه السلام عبادتهم لغير الله تعالى فردوا عليه ردا سفيها قبيحا سجله

القرآن الكريم عليهم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا[1] مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ[2] وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[3] .

أي: قال الأشراف الذين كفروا من قومه خاصة إنا لنراك في سفاهة ، وخفة حلم ، وسخافة عقل محيطة بك من جميع الجوانب لا خلاص لك منها حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر مهما كان ذلك الدين. عجبا لهم !! حيث جعلوا السفاهة ظرفا له للإشارة إلى تمكنه فيها، غير منفك عنها [4].

---

[1] - وصف الملأ من قوم هود بالكفر دون ملأ قوم نوح ، قيل: لأنه كان فيهم من آمن به منهم " مرثد بن سعد " أسلم وكان يكتم إيمانه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن.التفسير الكبير ١٧٠/١٣ .

[2] - سفاهة: أصل السفه الخفة والرقة والتحرك والاضطراب . يقال : ثوب سفيه إذا كان رديء النسج خفيفه ، أو كان باليا رقيقا ، وتسفهت الريح الشجر : مالت به ، وزمام سفيه : كثير الاضطراب لمنازعة الناقة إياها ، وشاع السفه في خفة العقل وضعف الرأي .المفردات للراغب الأصفهاني صـ ٢٣٤ .

[3] - سورة الأعراف ٧ : آية ٦٦ .

[4] - الكشاف للزمخشري ١١٩/٢ .

ولم يكتفوا بوصف السفه ، بل أضافوا إلى ذلك قولهم: ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ في دعوى التبليغ عن الله تعالى ، وأكدوا ظنهم الآثم كما أكدوا اتهامهم له بالسفه مبالغة في الإساءة إليه [1] .

ومن بلاغة القرآن الكريم ، وإنصافه في أحكامه أنه قيد القائلين لهود هذا القول الباطل بأنهم الملأ الذين كفروا من قومه ليخرج منهم -الملأ - أي الأشراف الذين آمنوا من قومه .

وبعد هذا الرد القبيح منهم أخذ هود عليه السلام يدافع عن نفسه ويبين لهم وظيفته بأسلوب يحبوه الود والمناصحة والعطف والملاطفة: ﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (٢).

فأنت ترى أن نبي الله هودا في هذا الرد الحكيم على قومه قد نفى عن نفسه تهمة السفاهة كما نفى أخوه نوح من قبله تهمة الضلالة ثم بين لهم بعد ذلك وظيفته وطبيعة رسالته، ثم أخبرهم بعد ذلك بأنه بمقتضى أخوته لهم ليس معقولا أن

---

[1] - ويرجح بعض العلماء أن الظن هنا على حقيقته ، لأنهم لو قالوا : وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين ، لكانوا كاذبين على أنفسهم في ذلك ؛ لأنهم يعلمون منه الصدق وحسن السيرة .

[2] - سورة الأعراف ٧: آية ٦٧ – ٦٨ .

يكذب عليهم أو يخدعهم – فإن الرائد لا يكذب أهله– وإنما هو ناصح أمين يهديهم إلى ما يصلحهم ويبعدهم عما يسوءهم(١).

وتلك هي مواقف الرجال الكاملين في الرجولية، إذ في إجابتهم علـى مـن نسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوا هم به من الكلام الصادر عـن الحلـم والإغضاء، وترك المقابلة بما قالوا لهم، مع علمهم بأن خصومهم أضل النـاس وأسفههم، ففي إجابتهم هذه أدب وحسن خلق عظيم ينم عن تعليم الله لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم ، ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم(٢).

هذا ونلمس من خلال التعبير القرآني المحكم أن قوم هود قد تعجبوا من اختصاص هود بالرسالة كما تعجب قوم نوح قبلهم من ذلك ، فأخذ هود عليه السلام بنفي إزالة هذا العجب من نفوسهم فقال:﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ أي : أكذبتـم وعجبتم من أن جاءكم ذكر وموعظة من ربكم على لسان رجل منكم تعرفون صدقه ونسبه وحسبه ، إن ما عجبتم له ليس موقع عجب بل هو عين الحكمة فقد اقتضت

---

١ - التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي ٩٢/٥ طـ السعادة ..

٢ - يراجع : الكشاف للزمخشري ١١٦/٢ بتصرف .

رحمة الله أن يرسل لعباده من بينهم رجلا يرشدهم إلى الطريق القويم و { الله أعلم حيث يجعل رسالته } .

وحينئذ فليس عجيبا أن يتركز مناط القدوة في هؤلاء الصفوة ، فقد قال رب العزة جل جلاله لأعظم البشر خَلْقا وخُلُقا محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[1].

وحين امتثل ﷺ لأمر ربه عز وجل، واقتفى أثر الرجولية الكاملة لم يكن عجيبا أيضا أن يكون أنموذج النماذج ، حيث إنه صلوات ربي وسلامه عليه كان بين الناس رجلا، وبين الرجال بطلا، وبين الأبطال مثلا، يبين الله تعالى موقف المشركين منه ﷺ ومن دعوته وذلك في قوله سبحانه:﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢).

ففي هذه الآية الكريمة إنكار على الكفار موقفهم من الرسالة الإسلامية وشغبهم على رسولها وعجبهم ودهشتهم من أن يكون المبعوث إليهم —رسولا — من الله رجلا منهم. فإنه لا محل للعجب من إرسال الرسول رجلا ما دام هذا الرجل قد سبق في إحراز الفضائل وحيازة الملكات السنية، وقد صنعه الله تعالى على عينه واختاره لرسالته ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. إلا أن هؤلاء

---

[1] - سورة الأنعام ٦ : آية ٩٠ .

[2] - سورة يونس ١٠ : آية ٢ .

الكفار لا يتصورون أن يكون المبعوث إليهم إنسانا يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون .. لا يتصورون أن يكون مثل هذا الإنسان رسولا يوحى إليه من الله تعالى ويتلقى كلماته ... إنهم – لكي يقع في تصورهم قيام رسول بين الله وبين الناس – لا يقبلون هذا الرسول ولا يصدقونه إلا إذا كان في غير جلد البشر .. كأن يكون ملكا مثلا ! وقد ذكر القرآن الكريم تصوراتهم وأوهامهم تلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾[1][2] .

ولو عقلوا لعرفوا أن الملائكة لا تستقيم لهم مع الناس حياة بل يكون ظهورهم في الناس موضع فتنة لهم تأخذ على ألبابهم ، وتستولي على عقولهم ، وتقيمهم في الحياة مقاما مزعجا مضطربا ، ولو أن الله تعالى استجاب لتعنت هؤلاء بأن أرسل إليهم ملكا لجعله رجلا ، لأنهم لا يستطيعون معاينة الملك على هيكله الأصلي، قال جل شأنه: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[3]و لم يقل القرآن:{لجعلناه بشرا} بل قال: "رجلا " ،

[1] – سورة الفرقان ٢٥ : آية ٧ .

[2] – يراجع : التفسير القرآني للقرآن . تأليف د/ عبد الكريم الخطيب ٩٣٠/١١ ط دار الفكر العربي.

[3] – سورة الأنعام ٦ : آية ٩ .

وهذا تكريم للرجال وتخصيص لهم بالرسالة ؛ لأن الرسول لا يكــون امــرأة ، ومقام الرسالة أعلى مقامات البشر [1] .

علما بأن هؤلاء المعاندين في مقام الحسد والعناد قالوا كما قص القرآن الكريم عنهم ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[2].

فمع أن كفار قريش كانوا قد استبعدوا أن يرسل الله رجــلا مــن البشــر واستفاض عندهم أمر إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وغيرهــم مــن الرسل صلوات الله عليهم ، فلما لم يكن لهم في ذلك مدفع ناقضوا فيما يخــص محمدا ﷺ فقالوا : لم كان محمدا ، ولم يكن القرآن نزل على رجل من القريتين عظيم . أشاروا إلى من عظم قدره بالسن والقدم والجاه وكثرة المال . أي مــن إحدى القريتين : مكة والطائف [3].

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم عنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة المخزومــي ، وبعظيم الطائف حبيب بن عمرو الثقفي . وعن مجاهد أنهم عنوا بعظيم مكــة

---

[1] - المصدر السابق ، ويراجع : هكذا يتحدث القرآن للدكتور أحمد الشرباصي ٣٤ – ٣٥ طـ دار الاعتصام .

[2] - سورة الزخرف ٤٣ : آية ٣١ .

[3] - النهر المار من البحر المحيط لأبي حيان بهامش البحر ٩/٨ – ١٠ .

عتبة بن ربيعة ، وبعظيم الطائف كنانة بن عبد ياليل . وعن قتادة عنوا الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي [١].

وبذا فقد جعلوا عماد التأهل لسيادة الأقوام أمرين: عظمة المُسوَّد وعظمة قريته ، فهم لا يدينون إلا من هو من أشهر القبائل في أشهر القرى ؛ لأن القرى هي مأوى شؤون القبائل وتموينهم وتجارتهم [٢].

ولما كان شأن هؤلاء الكفار المعاندين هو أنهم تعجبوا لإرسال الله تعالى الرسول رجلا، فقد سرى الله عز وجل عن قلب نبيه صلوات الله وسلامه عليه وسلاه، وبين له أنه ليس بدعا من الرسل، فقد وصف الله رسله المبلغين وحيه إلى خلقه بصفة الرجولية وسجل ذلك في كتابه العزيز في أكثر من موضع ليبين للناس أنه بالرجال تحيا الأمم ، وأنها صفة جامعة لكل صفات الشرف من اعتزاز بالنفس، واحترام لها وشعور عميق بأداء الواجب ، فما من فضيلة من الفضائل، ولا مكرمة من المكارم إلا وللرجولة فيها مدخل وإليها انتماء . قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا في ثلاثة مواضع من كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

١ - زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج الجوزي ٧/٩٥ – ٩٦ باختصار ، وينظر : التحرير والتنوير ٢٥/٢٠٠ .

٢ - **التحرير والتنوير السابق .**

الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾(١).

الثاني : في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٢).

الثالث : في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٣).

الرجولية أمنية الأنبياء لأقوامهم

ولما كانت الرجولية الحقيقية صفة من الصفات التي يتميز بها رسل الله وأنبياؤه عليهم السلام، فقد تمنى بعض الأنبياء أن لو كانت هذه الصفة في أحد من قومه ، وقد قص القرآن الكريم علينا هذه الأمنية وذلك المطلب على لسان نبي الله لوط عليه السلام وذلك حين جاءته رسل ربه من الملائكة،وحصلت له بسبب مجيئهم مساءة عظيمة وضاق صدره بها، إذ ظن أنهم ضيوف من بني آدم، فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ، مما حمله أن قال : هذا يوم عصيب .

---

(١) – سورة يوسف ١٢ : آية ١٠٩

(٢) – سورة النحل ١٦ : آية ٤٣

(٣) – سورة الأنبياء ٢١ : آية ٧

وما توقعه نبي الله لوط قد حدث بالفعل ، وجاءه على الفور المجرمون من قومه ﴿ يُهْرَعُونَ[١] إِلَيْهِ ﴾ أي : يهرولون متهيجة أعصابهم كأن سائقا يسوقهم، ومن قبل هذا المجيء كانوا يعملون السيئات الكثيرة ، وشرها أفظع الفاحشة وأنكرها في الفطرة البشرية والشرائع الإلهية والوضعية ، وهي إتيان الرجال شهوة من دون النساء ، ومجاهرتهم بها في أنديتهم ، كأنها من الفضائل يتسابقون إليها ، ويتهافتون عليها ويتبادرون فيها، حتى كأنهم قد مُرنوا عليها ، وقل عندهم استقباحها ، لا يكفهم حياء.

وبذا فقد أراد هؤلاء المجرمون أن يعتدوا على ضيوف نبي الله لوط من عباد ربه المكرمين فنصحهم بأن يتقوا الله بترك الفواحش ، وألا يفضحوه في ضيفه؛ لأن إهانة الضيف إهانة لمن أضافه، ثم ذكرهم بحق الرجولية وما لها من صفات عالية فقال: ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾[٢]، أليس منكم فرد تتحقق فيه

---

[١] - يُهرعون: هرع وأهرع بالبناء فيهما للمفعول إذا أعجل على الإسراع أي حمل على العجل به . وقال الكسائي والفراء وغيرهما : لا يكون الإهراع إلا إسراعا مع رعدة من برد أو غضب أو حمى . وقال مجاهد : هو مشي بين الهرولة والعدو .

تفسير المنار ١١١/١٢، ويقارن بلسان العرب مادة[هرع] ٤٦٥٣/٦ -٤٦٥٤

[٢] - سورة هود : آية ٧٨

صفات الرجولية الراشدة العاقلة ، فيهتدي إلى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح[1].

وكأن نبي الله لوط عليه السلام يريد أن يقول لهؤلاء : لو كان فيكم رجل تتحقق فيه نخوة الرجولية لما سمحت له نفسه أن يقدم على ذلك الإجرام الفظيع ، لكن أين أنتم من رشد الرجولية وكمال الرجال ؟

ولعل ما حمله على ذلك القول أنه وجد الرجولية في جانبهم مجردة عن معناها الحقيقي الدال على الطهر والعفاف والقوة والشجاعة، بل إنها قد دلت في جانبهم على النوع والجنس فقط ، ومما يؤيد ذلك ويوضحه ما حكاه القرآن الكريم عنه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[2] ، وفي قوله سبحانه : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[3] ، وفي قوله عز وجل : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾[4].

---

[1] - يراجع في ذلك : الكشاف للزمخشري ٤١٣/٢ ، وتفسير المنار ١١١/١٢ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٢٠/٢ ، وهكذا تحدث القرآن صـ٢٧

[2] - سورة الأعراف ٧ : آية ٨١

[3] - سورة النمل ٢٧ : آية ٥٥

[4] - سورة العنكبوت ٢٩ : آية ٢٩

قال المفسرون: وفي إيراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان[1] ونحوهما مبالغة في التوبيخ والتقريع[2]، كأنه قال : لتأتون أمثالكم ، أي أنكم عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربكم منهن إلى إتيان الرجال ، وهذا شذوذ وإسراف منكم وجهل ، لأنه وضع للشيء في غير محله[3].

والناظر في عجز الآيتين الأولتين يجد أن إحداهما ختمت بقوله :﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ والثانية بقوله عز وجل :﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ وفي هذا دليل على إسرافهم في اللذات وتجاوزهم حدود العقل والفطرة ، وجهالتهم في عواقب الأمور، إذ أنهم لا يقدرون ضرر ذلك على الصحة![4].

---

[1] - المردان : جمع أمرد وهو الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطَرَّ شاربه ، ولم تبد لحيته . لسان العرب (مرد) ٤١٧٢/٦ – ٤١٧٣ .

[2] - يراجع في ذلك : إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢٦٩/٢ طـ دار الفكر ، وحاشية القونوي لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي على تفسير البيضاوي ٤٣٦/١ طـ دار الكتب العلمية – بيروت ، وروح المعاني للعلامة الألوسي البغدادي ١٧٠/٨ دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ومحاسن التاويل للعلامة محمد جمال الدين القاسمي ٧/ ٢٨٠١ طـ دار إحياء الكتب العربية – مصر.

[3] - يراجع : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣٠/٢ بتصرف يسير . دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه .

[4] - يراجع : تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ٤٥٤/٨ بتصرف . طـ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

والخلاصة : أن مجموع الآيات السابقة يدل على أنهم كانوا مرزئين بفساد العقل والنفس بجمعهم بين الإسراف والعدوان والجهل ، فلا هم يعقلون ضرر هذه الفاحشة في الجناية على النسل وعلى الصحة والفضيلة والآداب العامة ولا غيرها من منكراتهم — فيجتنبوها أو يجتنبوا الإسراف فيها — ولا هم على شيء من الحياء وحسن الخلق يصرفهم عن ذلك فأين هم من كمال الرجال ؟

الرجولية اختيار أنبياء الله تعالى ورسله :

وكما أن الرجولية أمنية الرسل والأنبياء لأقوامهم ، فهي كذلك اختيار ، فاختيار الرجال وانتخابهم واصطفاؤهم من الأمور التي يتلمسها الرسل الكرام ، ولعل أبلغ موقف ضمن المواقف التي تدل على ذلك هو موقف نبي الله موسى عليه السلام، وذلك حينما أراد أن يذهب للقاء ربه اختار من قومه سبعين رجلا وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه[1]، فكان هذا تشريفا أي تشريف لهؤلاء الرجال ، وفي ذلك يقول ربنا جلت قدرته: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾(٢).

والمعنى: وانتخب موسى سبعين رجلا من خيار قومه للميقات الذي وقته الله تعالى له ودعاهم للذهاب معه .

---

[1] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤٩/٢ باختصار .

[2] - سورة الأعراف ٧ : آية ١٥٥.

وهؤلاء السبعون كانوا من خيرتهم أو كانوا خلاصتهم ؛ لأن الجملة الكريمة وهي : ﴿ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ جعلتهم بدلا من القوم جميعا في الاختيار ، وفي ذلك إشارة إلى أن من عداهم عدم لا يطلق[1] عليهم اسم القوم في المعنى الذي أراد نبي الله موسى عليه السلام .

وكأن بني إسرائيل على كثرتهم لا يوجد من بينهم فضلاء سوى هؤلاء السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام، فالاختيار يكون من فاعل مختار ، وشيء مختار منه ، فيتعدى للثاني ب "من" ، وكأن نكتة حذف "من" الإشارة إلى كون أولئك السبعين خيار قومه كلهم لا طائفة منهم[2].

---

١ - يراجع: نظم الدرر١٢١/٣، وروح المعاني٧٢/٩ ، والتفسير الوسيط ١٩٩/٥

٢ - روح المعاني . مصدر سابق ، وتفسير المنار ١٨٦/٩

المطلب الثاني

المعلم الثاني

الرجولة تعني الإيمان المطلق

جاء في الأثر أنه ليس الإيمان بالتمني ولكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل،وإن ناسا غرهم الأماني وقالوا : نحسن الظن بالله ، ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل . فليس الإيمان كلمة تقال ، ولكنه تصديق وعمل ينعكس كماله في نوع خاص من الرجال في قمة السلم الحياتي ، وفي أعلى ربوة في الدنيا ، أرواحهم تحلق في سماء الشفافية صافية رقيقة ، هم قناديل الأرض للناس ونجوم السماء للأرض، بهم يهتدى ، وعلى دربهم الفوز والفلاح ، تخرجوا من بيوت الله، فلم تلههم الدنيا أو تصرفهم مغرياتها عما أمامهم من الجد والعمل، قال الله تعالى في حقهم : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١).

---

[1] - سورة النور ٢٤ : الآيات ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

هذا وصف لمن منَّ الله عليهم بالهداية لنوره ، فهم يرفعون بيوت الله بالبنـــاء أو التعظيم بتطهيرها من الأنجاس الحسية والمعنوية ، وفي تنكير البيوت تعظيم لمقامها ورفع لشأنها، وتفخيم لقدرها وإن ضاقت رقعة وقلت عددا.

وتخصيص هذه البيوت بالذكر؛ لأنها مصـــدر إشـــعاع عقـــدي ، وفكـــري، وتنظيمي، وسلوكي، وعلمي، وسياسي في حياة المسلمين .

وهؤلاء الرجال يذكرون اسم الله سبحانه وينزهونه ويقدسونه ، وفي ذكر الله تعالى ذكر لجلاله وعظمته وقيوميته واستحضار لما له في خلقه سبحانه وتعالى من تقدير وتدبير، وفي هذا الذكر يتصل العبد بربه ، ويقترب من مواقع رضاه ورحمته، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(١).

وهؤلاء الرجال يصلون في تلك المساجد في أوائل النهار بكرة وغدوة وآخرة ، في الآصال والعشايا . وأفرد سبحانه { **الغدو** } لأن فيه صلاة واحدة هي صلاة الصبح ، وجمع الأصيل لأنه زمن فيه صلاة الظهر والعصر ، والعشاءين " **المغرب والعشاء** ".

وفي قوله: {**رجال** } إشعار بهممهم العالية ، وعزيمتهم الصادقة التي بها صاروا عمارا للمساجد التي هي بيوت الله في أرضه، ومواطن عبادتـــه وشكره وتوحيده وتنزيهه(٢).

---

١ - سورة الرعد ١٣ : آية ٢٨

٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٩٤.

فهذه البيوت لا تَهَش، ولا تسعد إلا بمن يتعلق قلبه بها ويجد الأنس والمسـرة في رحابها ، ويستشعر الوحشة والغربة في البعد عنها، فهو لهذا غاد ورائح إليها، لا تشغلهم الدنيا والمعاملات والتجارات الرابحة عن ذكر الله وحده، وإقامة الصلاة لوقتها، وأداء الزكاة المفروضة عليهم للمستحقين .

وخص المولى جلت قدرته الرجال بالذكر لأن صلاة الجماعة مطلوبة منهم ، من هنا قال النبي ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة : " ما من أحد يغدو ويروح إلى المسجد يؤثره على ما سواه إلا وله عند الله نزل يعد له في الجنة"[1] ، وفي رواية سهل بن سعد مرفوعا : " من غدا إلى المسجد وراح ليعلم خيرا أو ليتعلمه كان كمثل المجاهد في سبيل الله يرجع غانما"[2].

أما النساء : فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن ، لما رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : " **صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها**" [3]

وروى الإمام أحمد عن أم سلمة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : " **خير مساجد النساء قعر بيوتهن**"[4] .

---

[1] - رواه الديلمي في مسند الفردوس ٣٣/٤

[2] - رواه مالك في الموطأ عن أبي بكر بن عبد الرحمن ١٦٠/١

[3] - ابن خزيمة في صحيحه ٩٥/٣ ، والحاكم ٣٢٨/١ ، وأبو داود ١٥٦/١

[4] - رواه أحمد في مسنده ٢٩٧/٦ ، وقال الهيثمي [٣٣/٢] : " وفيه ابن لهيعة وفيه كلام }

ولما وصف الله تعالى الرجال المذكورين بما وصفهم به ، ذكر علة فعلهم لذلك زيادة في مدحهم فقال جل وعلا : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي إن الرجال الذين يؤدون الصلاة جماعة في المساجد يخافون عقاب يوم القيامة الذي تضطرب فيه القلوب هولا وفزعا، وتزيغ فيه الأبصار كربا وجزعا .

هذه هي أعمالهم التي سمت بهم إلى مترلة الرجولية، فماذا يكون جزاء هؤلاء الرجال الذين تعطر الحديث بذكر رجوليتهم والثناء على مكانتهم ؟ هو ما قاله العزيز الحميد : ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ إنهم يفعلون ذلك ويولون وجوههم إلى ربهم بالغدو والآصال ليكون ذلك سببا في أن يرضى الله تعالى عنهم ، ويجزيهم أحسن ما عملوا ، ويقبله منهم ، ويتجاوز بإحسانهم هذا عن سيئاتهم كما يقول سبحانه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾[1].

يقول القرطبي في تفسيره : " **ذكر سبحانه الجزاء على الحسنات ولم يذكر على السيئات وإن كان يجازي عليها لأمرين : أحدهما : أنه ترغيب فاقتصر على ذكر الرغبة ، الثاني : أنه في صفة قوم لا تكون منهم الكبائر فكانت صغائرهم مغفورة**"[2].

---

[1] - سورة الأحقاف ٤٦ : آية ١٦

[2] - تفسير القرطبي ٢٨١/١٢.

وليس هذا فحسب ، بل إنه سبحانه وتعالى سيزيدهم من فضله ، ويضاعف الجزاء لهم من إحسانه الذي لا حدود له ولا قيود .. فهذا رزق من رزقه ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ لأن خزائنه ملأى أبدا لا تنقص بالعطاء .. وإذن فلا يجري حساب على هذه الخزائن لإحصاء ما ذهب منها وما بقي ، ولكن مع هذه الخزائن الملأى من رزق الله تعالى ومن فضله وإحسانه ، فإنه سبحانه قيوم حكيم ، يضع رحمته حيث يشاء ، ويعطي منها ما يشاء لمن يشاء بحساب وتقدير ، حسب ما تقضي به حكمته وتدبيره،وفي هذا يقول رب العزة سبحانه:﴿ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾[1]، ويقول جل شأنه:﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ (٢).

روى ابن كثير من عند ابن أبي حاتم بسنده عن أسماء بنت يزيد ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ : " **إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء منـــاد فنادى بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون وهم قليل ثم يحاسب ســـائر الخلائق** "[3].

---

[1] - سورة الرعد ١٣ : ة ٨

[2] - سورة الحجر ١٥ : آية ٢١

[3] - رواه بنحوه الحاكم في المستدرك ٤٣٣/٢ .

لذلك قال أبو الدرداء ﷺ :" إني قمت على هذا الدرج أبايع عليه أربح كل يوم ثلثمائة دينار أشهد الصلاة في كل يوم في المسجد، أما إني لا أقول : إن ذلك ليس بحلال ولكني أحب أن أكون من الذين قال الله فيهم :﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ "[1].

وقال عمرو بن دينار الأعور : كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نريد المسجد فمررنا بسوق المدينة وقد قاموا إلى الصلاة وخمروا متاعهم فنظر سالم إلى أمتعتها ليس معها أحد فتلا سالم هذه الآية : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ثم قال : هم هؤلاء[2].

أما آن للأمة الإسلامية أن تكون مثل هؤلاء الرجال ؟ أما آن لأمة القرآن أن تخشع قلوبها لذكر الله ، أما آن للعيون أن تدمع ، أما آن للآذان أن تسمع ، أما آن للأجساد أن تسجد وأن تركع .

إن هذه خصال امتدحها الله عز وجل في قوم سماهم بها رجالا ليعلم كل مؤمن أن الرجولة لا تتم إلا بهذه الخلال ، وليعلم كل مسلم أن الإسلام لم يقم بالنصوص، وإنما قام بملء أكتاف هؤلاء الرجال ، إنه لم يقم بقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ إنما قام بمن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصدق من قال: أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم على أرضكم .

---

[1] – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٩٥

[2] – السابق .

المطلب الثالث

المعلم الثالث

الرجولة تعني الطهارة ظاهرا وباطنا

الطهارة من الأمور الشرعية الهامة، التي تعبدنا الله تعالى بها، إذ جعلها شرطا في صحة كثير من العبادات، ولها في الإسلام المترلة الرفيعة السامية، فهي من الإيمان بمترلة النصف من الكل ، فعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : " **الطهور شطر الإيمان** "[1]، وفي رواية لأحمد : " **الطهارة نصف الإيمان**"[2]

والروايتان بمعنى واحد ، فالطهور – بضم الطاء – هو : رفع الحدث والخبث .

والمراد بالطهور في هذا الحديث معناه الواسع ، والذي يشمل الطهارتين – الحسية والمعنوية. إذ الإيمان عقيدة وعمل ، والعقيدة محلها القلب، ولكي تستقر في القلب ويسطع نورها لا بد أن يكون هذا القلب طاهرا، أي خاليا من كل ما يعكر صفوه ، ويكدر جولته ، والتخلية مقدمة على التحلية كما يقولون.

والعمل متعلق بالجوارح، والجوارح مأمورة بأشياء يجب فعلها،ومنهية عن أشياء يجب تركها. أي أن هناك طاعات ، وهناك معاصي ففعل الطاعات تحلية، وترك المعاصي تخلية فعلى العبد – أولا – أن يخلي جوارحه من المعاصي، فإذا ما طهر جوارحه فقد حاز نصف الإيمان في بابه ، فتأمل .

---

[1] - رواه مسلم في صحيحه . كتاب : الطهارة ، باب : فضل الوضوء ٢٠٣/١ برقم [٢٢٣]

[2] - أحمد في مسنده ٣٧٢/٥.

ولقد راقني ما قاله حجة الإسلام الإمام الغزالي في إحيائه ، وهو يتكلم عـــن هذا الحديث المتقدم ما فحواه : إنه غير معقول أن يكون المراد بالطهور في هذا الحديث طهارة الظاهر ، التي هي رفع الحدث والخبث فقـــط. وإنمـــا المـــراد بالطهور سائر أنواع الطهارات .

وقسم الطهارة بهذا المعنى الواسع إلى أربع مراتب :

المرتبة الأولى : تطهير الظاهر من الأحداث والأخباث والفضلات.

المرتبة الثانية : تطهير الجوارح من الجرائم والآثام .

المرتبة الثالثة : تطهير القلب من الأخلاق المذمومة ، والرذائل الممقوتة .

المرتبة الرابعة : تطهير السر مما سوى الله تعالى ، وهي طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم وسلام .

والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي هي فيه. بل لقد كان من أوائل القرآن المترل على رسول الله ﷺ الأمر بالطهارة ، فقد أمره ربه بقوله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ قُمۡ فَأَنذِرۡ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴾[1].

لهذا وغيره كانت الطهارة بشقيها سببا من أسباب ثناء الله تعالى على أهل قباء الذين وصفوا بالرجولية الحقة، ولعل هذا الوصف الإلهي لهم بالرجولية لما تضمنته تعاليم الإسلام الحنيف وتكاليفه، وأنها لا تخرج عن كونها امتثالا لما جاء

---

[1] – سورة المدثر ٧٤ : آية ١ :٤ .

به رسول الإنسانية محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه إذ أن الطهارة بهذا المعنى الواسع تمثل واقع الرجولية في ظلال الإسلام الوارفة وتعاليمه المستنيرة، ففيهم قال رب العزة جل جلاله : ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾(١). يقول ابن العربي :" هذه الآية ثناء من الله تعالى على من أحب الطهارة وآثر النظافة ، وهي مروءة آدمية ووظيفة شرعية"(٢).

وهذه الآية الكريمة ذكرت في معرض الحديث عن مسجد الضرار الذي قام ببنائه طائفة من الذين لم يستقم إسلامهم على عهد رسول الله ﷺ أرادوا بذلك أن ينافسوا مسجد قباء، ذلك المسجد الذي وضعت أسسه على التقوى، وهو أول مسجد بني في الإسلام ، فاجتمع هؤلاء المنافقون وبنوا مسجدهم المسمى بمسجد الضرار، ذلك المسجد الذي ذكر الله تعالى أن غرضهم من إنشائه الذي بعثهم هواهم عليه أمور أربعة :

أولها : مضارة المؤمنين من أهل مسجد قباء الذي بناه النبي ﷺ قبل دخوله المدينة.

---

[١] - سورة التوبة ٩ : آية ١٠٨

[٢] - أحكام القرآن ١٠١٧/٢

ثانيها : الكفر بالنبي صلوات الله وسلامه عليه وبما جاء به، والاجتماع به لتدبير ما يكرهه الله ورسوله ، فصار مركز الفتنة ، وبيت النفاق ، ومأوى المنافقين للتهرب من أداء الصلاة .

ثالثها : التفريق بين المؤمنين ، فإنهم كانوا يصلون في مسجد واحد فأصبحوا به متفرقين في مكانين .

رابعها : الإرصاد، أي الترقب والانتظار لمجيء من حارب الله ورسوله، حتى إذا قدم وجد المكان مهيأ له، ووجد أصحابه مستعدين لمحاربة رسول الله ﷺ.

وقد سجل الله تعالى عليهم كل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1].

ومع وضوح أمرهم عادوا إلى كذبهم وتوثيق الكذب بالأيمان المغلظة أنهم ما أرادوا إلا الخصلة الحسنى، وحصروا إرادتهم في إرادة ما هو حسن في ذاته وغايته، وقد كذبهم الله جلت قدرته فقال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ يشهد: أي يعلم علم من عاين وشاهد إنهم لكاذبون، ولقد أكد كذبهم بـ "إن" المؤكدة لما بعدها، وبالجملة الإسمية ، وبلام التوكيد ، والله سبحانه وحده هو الصادق وهم الكاذبون[2].

---

[1] - سورة التوبة ٩ : آية ١٠٧

[2] - تفسير الشيخ أبو زهرة /٣٤٤٤ – ٣٤٤٥

وقد خيب الله تعالى مسعاهم ، وأبطل كيدهم ، وفضح أمرهم الخبيث ، وكشف عن تدبيرهم السيئ بأن أمر نبيه محمدا ﷺ بأن لا يقوم فيه أبدا سواء تابوا أو لا، وأن يهدمه ويحرقه ، وإن أخذ سمت المساجد وسمي باسمها، فلن يشفع له ذلك في أن يكون على طهر المساجد وقد سبقها لما وسمه به المنافقون من دنس ورجس[١].

ثم وصف الله تعالى مسجد قباء بأنه بني على تقوى الله وطاعته منذ إنشائه ، وهو الحقيقي بأن يُصلى فيه ، ولذلك قال الرسول الكريم
صلوات الله وسلامه عليه : " **صلاة في مسجد قباء كعمرة** "[٢][٣] .

ثم مدح الله سبحانه وتعالى أهل قباء ، ومن يأتي بعدهم ممن يسير على دربهم – لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب – امتدحهم الله تعالى بأنهم " **رجال** " فقال جل وعلا :" **فيه رجال**" وكان يصح في غير القرآن أن يقال : فيه مؤمنون . ثم مدحهم ثانيا بأنهم"**يحبون أن يتطهروا**" وكان يصح في غير القرآن أن يقال : فيه مؤمنون تطهروا .

---

١ - التفسير القرآني للقرآن .

٢ - رواه الترمذي في سننه ١٤٦/٢ عن أسيد بن ظهير ، وابن ماجة ٤٥٣/١ ، والبيهقي ٢٤٨/٥.

٣ - لكن روى الإمام أحمد ومسلم والنسائي أن النبي ١ سئل عنه – أي عن المسجد الذي أسس على التقوى – فأجاب بأنه مسجده الذي في المدينة . ولا مانع من إرادة المسجدين ؛ لأن كلا منهما قد بني على التقوى من أول يوم شُرع فيه ببنائه.

لكن الله ﷻ لما وصفهم بأنهم " **رجال** " وبأن الطهارة هي حبهم وديدنهم ، وهو ما يوحي به التعبير بمحبتهم لهذا العمل ، ثم التعبير بالمضارع في "**يحبون**" و "**يتطهروا**" الدال على التجدد والاستمرار ، فلما امتدحهم الله جلت قدرته بذلك علمنا أن هذا المدح والثناء لم يكن لطهارتهم الحسية (بالوضوء أو الاغتسال ، وطهارة

الملبس والمكان ... فحسب) وإنما لطهارتهم الروحية في المقام الأول، أعني طهارة الباطن من الأخلاق المذمومة والفعال القبيحة التي ذمها الله تعالى في أولئك المنافقين أصحاب مسجد الضرار. ذلك المسجد الذي بنوه بقصد الإضرار بالمؤمنين، وتفريق كلمتهم ، ونشر النفاق والإرصاد لمن حارب الله ورسوله ، ثم إنهم حلفوا كذبا أنهم ما أرادوا إلا الحسنى – كما سبق بيان ذلك. أليست هذه هي خصال المنافقين : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا اؤتمنوا خانوا ، وإذا عاهدوا غدروا . وفيهم قال سيد الخلق وحبيب الحق محمد بن عبد الله : " آية المنافق ثلاث : "**إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان**"[1] .

أتكون الطهارة التي امتدحها الله عز وجل في هؤلاء الرجال – بعد هذا البيان – هي الطهارة الحسية فحسب أم أنها الطهارة المعنوية – طهارة الباطن – التي عليها مدار الأمر كله !!

---

[1] - أخرجه البخاري كتاب الإيمان رقم١٠٧ومسلم كتب الإيمان باب خصال المنافق

والتي بها استحقوا أن يكونوا أهلا للتقوى ، أسس المسجد على تقواهم، ولذا قال ربنا جل وعلا : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ والمسجد لا يؤسس على التقوى، وإنما يؤسس أهله عليها .

وبذلك نرى أن الله عز وجل حين امتدح أهل قباء – وكل من يسير على نهجهم – وسماهم رجالا إنما امتدحهم لأنهم يتطهرون من كل رجس ودنس حسي ومعنوي ، لأنهم يتطهرون من كل خصال النفاق؛ إنهم لا يكذبون إذا حدثوا ، ولا يغدرون إذا عاهدوا ، ولا يخونون إذا اؤتمنوا ....

ومن ثم استحقوا أن يكونوا رجالا كاملين في الإنسانية أتقياء أنقياء الظاهر والباطن ، وما داموا كذلك فالنتيجة سجلها الله في قوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ أي:المبالغين في الطهارة الروحية المعنوية والجسدية البدنية.

قال جار الله الزمخشري :"محبتهم للتطهر: أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهي له على إيثاره، ومحبة الله إياهم أنه يرضى عنهم، ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه"[1].

---

[1] - الكشاف للزمخشري ٢/٣١٠

المطلب الرابع

المعلم الرابع

الرجولية تعني الشجاعة في قول الحق والنصح لله تعالى

إن الشرائع السماوية بتعاليمها السامية تربي في أبنائها دائما أن يكونوا رجالا، وأن لا يكونوا أقزاما حين تحتاج المواقف إلى الرجال .

ومن هذه المواقف التي تحتاج إلى الرجال : الصدع بكلمة الحق والشجاعة في النصح لله ورسله عليهم السلام . ومعلوم أن الحق أحلى في النفوس الأبية من الشمس في رائعة النهار ، وقطب تدور عليه همم الأخيار ، وعباب تنصبّ منه جداول شمائل الأطهار .

من هنا كان المؤمن الحق هو الذي لا يخشى في الحق لومة لائم، حتى ولو كان هذا الحق في غير صالحه؛ لأنه يؤمن حق الإيمان أن الأجل لا يملكه إلا الله، وأن الرزق لا يملكه أحد إلا الله. فلم الخوف إذا ؟!

فأهل الإيمان الحق هم الذين يرضون بقضاء الله وقدره، هم الذين عظمت ثقتهم في خالقهم فحسن توكلهم عليه ، فهم لا يرون المنكر إلا وأنكروه مهما كانت العاقبة . وبهذا الأسلوب ربى النبي الكريم ﷺ أصحابه ، رباهم على الشجاعة في الحق ، وأن يقولوا كلمة الحق ولو كان في سبيلها كل عذاب وألم ولو ضحوا بالنفس والنفيس، فعن أبي ذر الغفاري ﷺ : أوصاني خليلي بخصال

من الخير، أوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم ، وأوصاني أن أقول الحق ولو كان مرا[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " **ألا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول في حق إذا رآه أو شهده أو سمعه ، فإنه لا يقرب أجلا ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو ينكر بعظيم**"[2] .

نعم إن قول الحق في ساعات العشرة والوقوف بجانبه حين يتخلى عنه أكثر الناس ليدل دلالة واضحة على معان الرجال .

ولقد أثنى الله عز وجل على طائفة من المؤمنين وسماهم رجالا لأنهم قالوا كلمة الحق في مواقف عز فيها النصير والوزير .

وإذا ما تأملنا آي القرآن الكريم وجدنا هذه الصفات – الشجاعة والنصح وقول الحق – ألصق ما تكون بأنصار الرسل هؤلاء الصحب الكرام الذين وردوا النبع صافيا فاستاقوا المجد من زمامه فانقاد لهم طيعا لينا ، فأكرمهم ربهم،

---

[1] - رواه ابن حبان في صحيحه ١٩٤/٢ طبعة مؤسسة الرسالة برقم٤٤٩، وقال محققه: حديث صحيح.

[2] - رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح من طريق ابن عدي(١٠٩٥٩) ١٧/١٠، وبإسناد حسن من محمد بن الحسن (١١٤١٢) ، ورواه الترمذي في الفتن (٢١٩١) ، وابن ماجة (٤٠٠٧) صححه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٥/٧

وأشاد بهم ، وخلع عليهم صفة الرجولية في مواطن كثيرة من كتابه العزيز، وفيما يلي ذكر ذلك :

النموذج الأول : الرجلان اللذان رزقهما الله الشجاعة ، ففي معرض الحديث عن بني إسرائيل مع رسولهم ومنقذهم موسى عليه السلام على أبواب الأرض المقدسة ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا(١) وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾(٢) .

---

١ - قال صاحب الانتصاف : فإن قلت : فلماذا لم يقل "إذ جعلكم أنبياء" كما قال : "وجعلكم ملوكا"؟ قلت : لأن النبوة مزية غير الملك وآحاد الناس يشارك الملك في كثير مما صار به الملك ملكا ، ولا كذلك النبوة ، فإن درجتها أرفع من أن يشرك من لم تثبت له مع الثابتة نبوته في مزيتها وخصوصيتها ونعتها ، فهذا هو سر تميز الأنبياء وتعميم الملوك .

ينظر: الانتصاف بذيل الكشاف ٦٢٠/١ طـ دار الريان للتراث .

٢ - سورة المائدة ٥ : الآيات من ٢٠ : ٢٤

تبين لنا هذه الآيات الكريمة موقفا من مواقف بني إسرائيل العنادية مع أنبياء الله وحملة النور والخير إليهم ، وإن في ذلك لعزاء وسلوى لرسولنا الكريم ﷺ لما استقبل به اليهود دعوته من كيد وتضليل ... إذ ليس هذا شأن اليهود مع النبي ﷺ وحده بل هو شأنهم مع كل نبي من أنبيائهم .

فهذا موسى عليه السلام الذي بعثه الله تعالى إليهم لينقذهم من الذلة والهوان ، وليطلق سراحهم من يد الأسر المضروب عليهم من فرعون . موسى عليه السلام الذي أطلق بين أيديهم معجزات آمن بها كهنة مصر وسحرتها ، ونجاهم من فرعون ، وفجر لهم من الصخر عيونا ... موسى وهذه بعض آياته ومعجزاته قد أعنتوه والتووا عليه وخرجوا من يده في أكثر من موقف[1].

فها هو ذا معهم على أبواب الأرض المقدسة : أرض الميعاد التي من أجلها خرجوا . الأرض التي وعدهم الله أن يكونوا فيها ملوكا وأن يبعث من بينهم الأنبياء فيها ليظلوا في رعاية الله وقيادته ... يقدم بين يدي دعوته استعراضا لنعم الله تعالى عليهم ورحمته بهم ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا[2] وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .

---

[1] - التفسير القرآني للقرآن ١٠٦٧/٦ ، ويراجع في ظلال القرآن ٦٨٩/٦ بتصرف.

[2] - وجعلكم ملوكا : أي أحرارا بعد أن كنتم مملوكين في أيدي القبط فأنقذكم الله ، فسمى إنقاذكم ملكا . وقيل: الملك : هو من له مسكن وخادم ، وقيل: من له مالك لا يحتاج معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق . والخلاصة : أنهم أحرار عندهم ما يكفيهم من زوجة وخادم ودار=

وفي قول موسى لهم كما حكى القرآن عنه :{يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم} تلطف معهم في الخطاب ، وحمل لهم على شكر النعمة واستعمالها فيما خلقت له لكي يزيدهم الله منها . وفيه كذلك تذكير لهم بما يربطهم به من رابطة الدم والقرابة التي تجعله منهم ، فيرتبط بهم.

ويهمه ما يهمهم ، ويسعده ما يسعدهم فهو يوجه إليهم ما هو كائن لهدايتهم وسعادتهم.

لقد جربهم نبي الله موسى فحق له أن يشفق عليهم ، وهو يدعوهم دعوته الأخيرة ، فيحشد فيها ألمع الذكريات ، وأكبر البشريات، وأضخم المشجعات ، فذكرهم آنذاك بنعم ثلاث أسبغها الله تعالى عليهم:

أما النعمة الأولى : فهي جعل كثير من الأنبياء فيهم ، كموسى ، وهارون، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وداود ، وسليمان عليه السلام وقد أرسل الله تعالى هؤلاء الأنبياء وغيرهم في بني إسرائيل، لكي يخرجوهم من ظلمات الكفر والفسوق والعصيان إلى نور الهداية والطاعة والإيمان.

= بدليل ما رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري مرفوعا : " كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادما ودابة وامرأة كتب ملكا " وروى أبو داود أيضا عن زيد بن أسلم: " من كان له بيت وخادم فهو ملك"، وعُرْف اليوم يؤيد هذا ، فيقال للمخدوم المالك مسكنه الهانئ في معيشته : " ملك زمانه " .

والتنكير في قوله: "أنبياء" للتكثير والتعظيم. أي اذكروا يا بني إسرائيل نعـم الله عليكم وأحسنوا شكرها حيث جعل فيكم أنبياء كثيريـن يهدونكم إلى الرشد. قال جار الله الزمخشري [ت ٥٢٨] : " لم يبعث الله في أمة ما بعث في بـني إسرائيل من الأنبياء"[١].

وأما النعمة الثانية : فهي جعلهم ملوكا . أي جعلكم أحرارا تملكـون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب .

وهذه النعمة — أي : نعمة الحرية بعد الذل، والسعة بعد الضيق- من الـنعم العظمى التي لا يقدرها ويحافظ عليها إلا أصحاب النفوس الكبيرة التي تعـاف الظلم، وتأبى الضيم ، وتحسن شكر الله تعالى .

وأما النعمة الثالثة: فهي أنه — سبحانه وتعالى — آتـاهم مـن ألـوان الإكرام والمنن ما لم يؤت أحدا من عالمي زمانهم، فقد فلق لهم البحر فساروا في طريق يابس حتى نجوا وغرق عدوهم ، وأنزل عليهم المن والسلوى ليأكلوا من الطيبات ، وفجر لهم من الحجر اثنتي عشر عينا حتى يعلم كل أناس مشربهم ... إلى غير ذلك من ألوان النعم التي حباهم الله تعالى بها ، والتي كانـت تسـتلزم منهم المبادرة إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه[٢].

---

[١] - ينظر : الكشاف للزمخشري ٦١٩/١

[٢] - البحر المحيط لأبي حيان ٤٥٢/٣ — ٤٥٣ بتصرف واختصار

وبعد تذكير نبي الله موسى عليه السلام إياهم بهذه النعم دعاهم إلى نعمة جديدة فقال لهم : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾ لم يدعهم إلا إلى ما فيه خير عاجل لهم، وهو أن يخرجوا من الصحراء وأن ينتقلوا من حياة الرعي والخيام إلى حياة المدنية، فقال لهم : يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة الطاهرة التي تحفها رحمات الله وتبارك أرضها للسكنى لا للملك ؛ لأن بيت المقدس مقر الأنبياء ومسكن المؤمنين { **التي كتب الله لكم**} أي : قدر لكم سكناها ووعدكم إياها متى آمنتم به وأطعتم أنبياءه .

وفي قوله : { **التي كتب الله لكم** } حض شديد لهم على الاستجابة لأمره ، وإغراء لهم بالنصر والفوز ؛ لأن الذي كتب لهم أن يدخلوها متى آمنوا وأطاعوا هو الله الذي لا معقب لحكمه .

ومع هذا فقد أبى القوم أن يتقبلوا دعوة موسى عليه السلام ، وأن يصدقوا وعد الله لهم ، بل غلب عليهم سوء طبعهم فخيّل إليهم أن في الأمر شيئا ، وأن وراء هذه الدعوة ما وراءها .

وموسى عليه السلام خبير بالقوم عليم بما ينطوي عليهم كيانهم من خبث وفساد ...ولهذا لم يرسل الدعوة إليهم بدخول الأرض المقدسة مطلقة، بل أتبعها بأسلوب يحمل طابع التحذير الشديد الذي كان لا بد منه في مواجهة قوم

كهؤلاء القوم، وذلك لأنه ﷺ متوقعا منهم الإحجام عن القتال بعد أن جرب عنادهم وعصيانهم ونكوصهم على أعقابهم في مواطن كثيرة ، فقال كما حكى القرآن عنه: { ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين } إذ لا ينتظر من هذه الجماعة إلا أن تصطدم مع هذه الدعوة كما تصطدم الكرة بجدار فترتد إلى الوراء[1].

وفي التعبير بارتداد القوم على أدبارهم إشارة إلى أنهم إنما يرتدون إلى الوراء وعيونهم معلقة بالمتجه الذي تتجه إليه الدعوة ، وكأن هذا المتجه حيوان مفترس يتحفز للوثوب عليهم .. فهم يسيرون إلى الوراء على أقفيتهم وأبصارهم شاخصة إلى هذا الأمر المخيف الذي دعاهم إليه . وهذا التعبير يصور قبح الجبن والتخاذل حسا ومعنى[2].

ولننظر كيف كانت سفاهة القوم مع موسى ﷺ يدعوهم إلى خير فيكذبونه ويمكرون به ، ويتخابثون عليه .. ويناديهم متلطفا مترفقا " **يا قوم** " " **يا قوم** " ويردون عليه مخاطبين له باسمه جفاء وجلافة وقلة أدب : يا موسى يا موسى !! وقاحة وجبن ونذالة .

---

[1] - التفسير القرآني للقرآن للدكتور عبد الكريم الخطيب ١٠٦٨/٦ بتصرف .

[2] - السابق بتصرف

﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ أي: قالوا معرضين عن ذلك كله بهمم سافلة وأحوال نازلة لنبيهم موسى عليه السلام وأكدوا قولهم تأكيد من هو محيط العلم { **إن فيها** } دون غيرها { **قوما جبارين** } أي :طوالا عتاة يجبرون الناس على ما أرادوا وإنا لن ندخل هذه الأرض المقدسة التي أمرتنا بدخولها { **حتى يخرجوا منها** } بغير قتال أو بسبب يخرجهم الله تعالى به فإنه لا طاقة لنا بإخراجهم منها { **فإن يخرجوا** منها} بأي وجه كان { **فإنا داخلون** } فيها حينئذ . وعبروا بأداة الشك {**إن**} في قوله:{ **فإن يخرجوا منها** }- مع إعلام الله لهم بإهلاكهم على أيديهم - جلافة منهم وعراقة طبع في التكذيب[1].

هكذا كان ردهم على تلك الدعوة الكريمة المترفقة المحملة بالخير والأمن. ولا شك أن قولهم هذا الذي حكته الآية الكريمة عنهم ليدل على منتهى الجبن والضعف والتمحل؛ لأنهم لا يريدون أن ينالوا نصرا باستخدام حواسهم البدنية أو العقلية، وإنما يريدون أن ينالوا ما يبغون بما ألفوا من المعجزات ، وخوارق العادات ، وأمة هذا شأنها لا تستحق الحياة الكريمة؛ لأنها لم تقدم العمل الذي يؤهلها لتلك الحياة ، ولكن إسرائيل هي إسرائيل !!! الجبن والتمحل والنكوص على الأعقاب ونقض الميثاق ، وذلك دأبهم أبدا ، يأخذون دون أن يعطوا

[1] - ينظر : نظم الدرر ٤٢٦/٢ ، ويراجع : روح المعاني ١٠٧/٦ بتصرف .

ويجنون ما لم يزرعوا ... يأكلون ثمرة الزارعين ، ويسرقون جهد العاملين . فلا يريدون أن يدخلوا الأرض المقدسة الطاهرة إلا أن يخليها لهم أصحابها ويهتفون بهم : أن أقبلوا .. ولو وقع هذا لوقع في أنفسهم أن يطلبوا من نبي الله موسى (عليه السلام) أن يهيئ لهم مراكب سماوية تقلهم إلى حيث هم ذاهبون!! إنها طبائع أطفال، وتعليلات صبيان ، وأماني جبناء.

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ثم بين القرآن الكريم بعد ذلك أن رجلين كانا ممن طبعهم الله على الإيمان، وفطر نفوسهم على الطاعة والإذعان، لم يَحْطِبا في حبل أقوامهم، ولم يجريا في الحديث على غرارهم، فتوجها إلى قومهم ناصحين وقاما فيهم مرشدين: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

هذان الرجلان هما : يوشع بن نون ، وكالب بن يوفنا ، وكانا من الاثني عشر نقيبا ، أو هما رجلان كانا من الجبابرة ، ثم أسلما وأنعم الله عليهما بالإيمان والثبات والجرأة في الحق ، وقد وصف الله هذين الرجلين بوصفين:

أولهما : قوله تعالى : { **من الذين يخافون** } أي : من الذين يخافون الله وحده ويتقونه ولا يخافون سواه ، وفي وصفهم بذلك تعريض بأن ما عداهما من القوم لا يخافون الله عز وجل ، بل يخافون العدو[1].

وقيل المعنى : من الذين يخافون الأعداء ويقدرون قوتهم إلا أن الله تعالى ربط على قلبيهما فجعلهما يقولان ما قالا[2].

قال البقاعي [ت ٨٨٥هـ] – رحمه الله – : "أي يوجد منهم الخوف من الجبارين ومع ذلك فلم يخافا وثوقا منهما بوعد الله"[3].

أما الوصف الثاني : فهو قوله تعالى : { **أنعم الله عليهما** } أي قال رجلان موصوفان بأنهما من الذين يخافون الله ولا يخافون سواه ، وبأنهما من الذين أنعم الله عليهما بالإيمان والتثبت والثقة بوعده والطاعة لأمره . قال لقومهما : ادخلوا على أعدائكم باب المدينة فإذا فعلتم ذلك نصركم الله وأيدكم بروح من عنده ، بعد أن تعملوا ما في طاقتكم من طاعة ربكم وتثقوا به فيما لا يصل إليه كسبكم إن كنتم مؤمنين بأن وعد الله حق ، وأنه قادر على الوفاء[4].

---

[1] - البحر المحيط لأبي حيان ٤٥٥/٣

[2] - السابق

[3] - ينظر: نظم الدرر ٤٢٦/٢

[4] - البحر المحيط ٤٥٥/٣

وإنما جزم هذان الرجلان بأنهم سيغلبون إذا دخلوا ؛ ثقة بنبوة موسى ، وهو قد أخبرهم بأن الله أمرهم بدخول الأرض المقدسة التي كتبها لهم ، لا جرم قطعا النصر والغلبة على العدو[1].

وبذا نرى أن الله تعالى قد وصف هذين المؤمنين بالرجولة لتلك الشجاعة وذلك النصح الذين ظهرا منهما ، فإنهما قد نصحا لهم وبرا واجتهدا في إصلاح الدين والدنيا فما خدعا ولا غرا ، حيث نطقا بكلمة الحق والشجاعة معبران بذلك النصح وهذا الإرشاد المفعم بالإيمان في ساعة الشدة دليلا على أن الرجل الأصيل الرجولية لا يتصرف إلا تصرف السادة الشرفاء ، وكان يصح في غير القرآن أن يقال : قال مؤمنان من الذين يخافون . ولكن الله تعالى لما قال : " **رجلان**" علمنا أن هذا الوصف إنما كان لتلك الشجاعة التي أنعم الله بها عليهما إذن الشجاعة والنطق بكلمة الحق والنصح في الله تعالى من معالم الرجولة بها تكمل وبدونها تنقص.

ولكن هذه النصيحة الحكيمة من هذين الرجلين لم تصادف من بني إسرائيل قلوبا واعية، ولا آذانا صاغية، بل إنهم عادوا إلى حديث جبنهم، وإعلان خوفهم، وزادوا على ذلك القحة والتمرد والغباء والتبلد، وقالوا لنبي الله موسى عليه السلام قولا يذهب صبر الحليم ويثير وجيع الجرح الأليم ، قالوا: ﴿ قَالُواْ

[1] - البحر المحيط مصدر سابق ، ويراجع تفسير المراغي ٤١٦/٢ طـ دار الكتب العلمية – بيروت

يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ .

وعند ذلك تلفت موسى فلم يجد من يثق بمعرفته ، ويعتمد على نصرته إلا أخاه هارون، وهما وحيدان في أضعف جند ، وأنكد أتباع ، وأمامهما عدو قـوي المراس ، كثير الجنود ، فتوجه إلى الله قـائلا : ﴿ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾.

فأوحى الله تعالى إليه : أن دعهم يتيهون في هذه البيداء ، يضربون في مجاهلها ، ويخبطون في نواحيها أربعين عاما ، حتى يفنى كبراؤهم ، ويهلك رؤسـاؤهم ، ويظهر بعدهم جيل عزيز الجانب منيع الساحة ، وحينئذ يعـودون إلى الغـزو ويركبون متن الجهاد[1].

النموذج الثاني : مؤمن آل فرعون .

هذا الرجل المؤمن ، والنموذج الحي له في القرآن الكريم مع نبي الله موسى عليه السلام موقفان بهما وصفه الله تعالى بالرجولة :

الأول: موقف المناصحة ، والثاني : موقف المدافعة والمناصحة.

وقد ذكر الله تعالى هذين الموقفين ، وخلد ذكرهما في كتابه العزيز:

---

[1] - براجع في ذلك : قصص القرآن تأليف محمد أحمد جاد المولى وآخرين صـ١٥٩ طـ السـعادة مصر

أما موقف المناصحة ؛ فهو لنبي الله موسى عليه السلام فقد جاء بعد أن رأى موسى عليه السلام رجلا إسرائيليا يقاتل رجلا قبطيا فنصر موسى عليه السلام الرجل الذي من شيعته ، وضرب الغريب بوكزة فقضى عليه وندم على ذلك ، وقال : إنه من عمل الشيطان ، واستغفر ربه من ذلك الظلم .

وانتشر ذلك الخبر ، خبر قتل نبي الله موسى عليه السلام للقبطي بالمدينة ، فأخذ فرعون وملؤه يتشاورون في قتله والبطش به ، وإذا بيد القدرة تسفر في اللحظة المطلوبة لتتم مشيئتها فانتدبت واحدا من آل فرعون ، إنه الرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه ، انتدبته ليسعى إلى موسى عليه السلام سعيا حثيثا من أقصى المدينة في جد واهتمام ومسارعة ، ويعدو في رجولية متناهية وصفها الله تعالى بقوله : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [1].

أي : وجاء رجل مؤمن من آل فرعون يخفي إيمانه عن فرعون وآله لأسباب هو بها عليم ، يسرع للحاق بموسى ؛ إشفاقا وخوفا عليه أن يصيبه مكروه من فرعون وآله ، وقال : يا موسى إن الكبار من أتباع فرعون وبطانته وأشراف دولته يدبرون لك المكايد ، ويتشاورون في أمر قتلك والبطش بك ، فاخرج من هذه المدينة مسرعا قبل أن يظفروا بك وإني لك لناصح أمين .

---

[1] - سورة القصص ٢٨ : آية ٢٠

قال ابن كثير [ت ٧٧٤هـ] : " وصفة بالرجولية لأنه خالف الطريق فسلك طريقا أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه فسبق إلى موسى ، فقال له يا موسى : { **إن الملأ يأتمرون بك** } أي يتشاورون فيك { **ليقتلوك فاخرج** } أي من البلد { **إني لك من الناصحين** } "[١].

وأقول : إن الله عز وجل إنما وصفه بالرجولية ؛ لأنه نصح لله تعالى ، إذ لم يبخل بالنصيحة على نبي الله موسى عليه السلام حين علم بما يدبر له من المكايد ، فاستجاب له نبي الله موسى عليه السلام ، وخرج ؛ عملا بنصيحته ملتمسا من خالقه – عز وجل- النجاة من مكر القوم الظالمين، وكان ذلك موقفا من المواقف الحميدة التي قام بها رجل من الرجال.

أما الموقف الثاني: فهو موقف المدافعة عن نبي الله موسى ، والمناصحة لقومه ، وذلك حين اشتد الخلاف ، واحتدم النزاع بين طاغية الزمان فرعون اللعين وبين رسول الملك العلام موسى الكليم، فقال فرعون كما قص لنا القرآن :

﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[٢].

---

[١] - تفسير القرآن العظيم ٣٨٣/٣

[٢] - سورة غافر ٤٠ : آية ٢٦.

واحتمى نبي الله موسى عليه السلام بجناب الله تعالى الذي يحتمي به المؤمنون ، ويثق به المتقون فقال : ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾(١) .

عند ذلك ظهر هذا الإنسان الذي شهد الله عز وجل له بالإيمان ، ووصفه بالرجولة ، وهو من آل فرعون وكان يكتم إيمانه خوفا منهم على نفسه ، هذا الرجل الذي لم يصرح الله تبارك وتعالى باسمه ليعلمنا أن من صفات الرجولية الحقة إنكار الذات ، وإخلاص الوجهة لله جلت قدرته ، حيث يقف في وجه فرعون الطاغية وقومه ، وينطلق بصوته وسط هذا الجو الرهيب مدافعا عن نبي الله موسى عليه السلام دفاعا مستميتا حين توجه إليه الأذى ، وناصحا لقومه ليتبعوا الهدى ، قائلا كما قص لنا القرآن قصته : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾

---

١ - سورة غافر ٤٠ : آية ٢٧.

مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ [1].

إنه موقف الرجولية الكاملة، والشجاعة الحقة ، والإيمان الراسخ الذي لا تزعزعه الحوادث ، والجود بالنصيحة لله تعالى ، فهذا الرجل المؤمن الذي كان يخفي إيمانه عن قومه إخفاء شديدا خوفا على نفسه من أن يصيبه منهم مكروه ، عندما سمع فرعون اللعين يقول : ﴿ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ أي : اتركوني على أي حالة كانت أقتل موسى ، ولما رآهم قد عزموا على القتل عزما قويا ، أخذته غضبة لله عز وجل، وقال منكرا له غاية الإنكار ... قال كلمة عدل عند سلطان جائر "وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"[2] ، ولا أعظم من

---

[1] - سورة غافر ٤٠ : الآيات ٢٨ : ٣٤

[2] - رواه الترمذي كتاب: الفتن٤/٤٧١ رقم [٤١٧٢] وقال : حسن غريب من هذا الوجه ، وأبو داود: كتاب الملاحم ١٢٤/٤، وابن ماجة كتاب الفتن ١٣٢٩/٢

هذه الكلمة عند فرعون ، وهي قوله: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً ﴾ هو عظيم في الرجال حسا ومعنى، ثم علل قتلهم له بما ينافيه فقال: ﴿ أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾(١).
وهذا إنكار منه عظيم ، وتبكيت شديد ، كأنه قال : أترتكبون الفعلة الشـنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطـق بها وهي قوله : { ربي الله } مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده ، وهـو استدراج لهم إلى الاعتراف به لِيُلِيِّن بذلك جماجمهم ويكسر من سورهم، وهو بذلك ينصح قومه حتى يتطهروا بالإقناع من عبادة الأربـاب إلى عبـادة رب الأرباب سبحانه[٢].

ولما كان كلامه هذا يكاد أن يصرح بإيمانه، وصله بما يشككهم في أمره ويوقفهم عن ضره ، فقال مشيرا إلى أنه لا يخلو حاله من أن يكون كاذبـا أو صادقا، ثم جاراهم في معتقدهم فبدأ بما يعتقدون حتى يقيم الحجة عليهم فقال: فإن يك كاذبا فعليه وزر كذبه ، ولا يضركم شـيء فـاتركوه وشـأنه ولا تتعرضوا له ولأتباعه ، وإن يك صادقا في دعواه أصابكم بعض ما وعدكم بـه من العذاب.

---

[١] - يراجع في ذلك : نظم الدرر ٥٠٧/٦ بتصرف يسير

[٢] - الكشاف للزمخشري ١٦٢/٤ ، وفتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب صديق بـن حسـن ١٢٠/٦طـ دار الكتب العلمية – بيروت

فنحن نرى أن الرجل المؤمن كان في نهاية الحكمة والإنصاف وحسن المنطق في نصحه لقومه ، حيث بين لهم أن الأمر لا يخرج عن فرضين ، وكلاهما لا يوجب قصد موسى عليه السلام بالقتل ، وهذا نوع من أنواع علم البيان يسميه علماؤنا [استدراج المخاطب]، وذلك أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى، وقومه على تكذيبه أراد الانتصار له بطريق يخفي عليهم بها أنه مؤمن به، وأنه من أتباعه، فجاءهم بطريق النصح والملاطفة فقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً ﴾ و لم يذكر اسمه،بل قال : رجلا ليوهمهم أنه لا يعرفه ، ثم قال : ﴿ أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ و لم يقل رجلا مؤمنا بالله أو هو نبي الله، إذا لو قال ذلك لعلم أنه متعصب و لم يقبلوا قوله، ثم أتبعه بقوله: ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا ﴾ فقدم الكذب على الصدق موافقة لرأيهم فيه، ثم تلاه بقوله : ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا ﴾ و لم يقل هو صادق ، كما أنه أوجز في وعظه لهم وسارع إلى الإتيان بأقل ما يمكن وهو حذف النون فقال: { إن يك } وكذلك قال : ﴿ يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ و لم يقل : كل ما يعدكم ، ولو قال ذلك لعلموا أنه متعصب له، وأنه يزعم نبوته وأنه يصدقه، ثم أتبعه بكلام يفهم منه أنه ليس بمصدق له وهو قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[1] .

---

[1] - قال الجمل في حاشيته : " فالجملة الكريمة كلام ذو وجهين نظرا لموسى وفرعون ، الوجه الأول : إن هذا إشارة إلى الرمز والتعريض بعلو شأن موسى ، والمعنى: أن الله هدى موسى إلى الإتيان بالمعجزات الباهرة ، ومن هداه الله إلى ذلك لا يكون مسرفا ولا كذابا . الوجه الثاني : أن يكون

وفيه تعريض بفرعون ، إذ هو في غاية الإسراف والكذب على الله إذ ادعى الألوهية والربوبية[1].

ثم شرع مؤمن آل فرعون في وعظهم إظهارا للنصيحة لهم والتحسر عليهم ، فقال مذكرا لهم بنعمة الله عليهم محذرا لهم من سلبها مستعطفا بذكر أنه منهم: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ .

وهذه مقالة الرجل الكامل الرجولية الذي امتلأ قلبه بنور الإيمان، وخالط بشاشته برد اليقين ، فنظر إلى الدنيا نظرة الحكيم العاقل ، فقدم النصيحة لغيره على أتم وجه ، فقال: يا قوم أنتم لكم الملك حالة كونكم ظاهرين لا يعلو عليكم أحد ، غالبين لا يغلبكم أحد في أرض مصر ولا في غيرها ، فلا تغرنكم عظمتكم وملككم ؛ فإنهما معرضان للزوال إن غضب الله عليكم[2] .

إن الرجل يشعر بما يشعر به القلب المؤمن من أن بأس الله أقرب ما يكون لأصحاب الملك والسلطان في الأرض ، فهم أحق الناس بأن يحذروه ، وأجدر

= المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى ، وكاذب في ادعائه الألوهية ، والله لا يهدي من كان كذلك ... " . ينظر : حاشية الجمل على الجلالين ٤/١٣

[1] - البحر المحيط ٧/٤٦١.

[2] - التحرير والتنوير ٢٤ / ١٣٢ .

الناس بان يحسوه ويتقوه ، وأن يبيتوا منه على وجل ، فهو يتربص بهم في كـــل لحظة من لحظات الليل والنهار .

ومن ثم يذكرهم بما هم فيه من الملك والسلطان ، وهو يشير إلى هذا المعـــنى المستقر في حسه البصير ، ثم يجعل نفسه فيهم وهو يذكرهم ببأس الله: ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ ؟ ليشعرهم أن أمرهم يهمـــه ، فهـــو واحد منهم ، ينتظر مصيره معهم ، وهو إذن ناصح لهم مشفق عليهم ، لعل هذا أن يجعلهم ينظرون إلى تحذيره باهتمام ، ويأخذونه مأخذ البراءة والإخـــلاص ، وهو يحاول أن يشعرهم أن بأسه إن جاء فلا ناصر منه ولا مجير عليه ، وأنهـــم إزاءه ضعاف[1].

هنا تأخذ فرعون العزة بالإثم ، ويستبد به الجبروت والطغيان ، وقال ما يقوله كل طاغية معجب بنفسه : ما أريكم إلا ما أرى ، ولا أشير عليكم إلا بقتلـــه حتى نستريح ، وما أهديكم بهذا الرأي إلا سبيل الرشاد وطريـــق الصـــواب . وكأنه أراد بذلك أن لا يترك لنصيحة مؤمنهم مدخلا إلى نفوس ملئه خيفة أن يتأثروا بنصحه فلا يساعدوا فرعون على قتل موسى[2].

وغرض فرعون اللعين بهذا القول التدليس والتمويه على قومه ، وأنه ما يريد إلا منفعتهم، مع أن الدافع الحقيقي لقوله هذا هو التخلص من نبي الله موســـى

---

[1] - ينظر : في ظلال القرآن ٣٠٧٩/٥ – ٣٠٨٠ .

[2] - التحرير والتنوير ١٣٣/٢٤ .

عليه السلام حتى يخلو له الجو في تأليه نفسه على جهلة قومه فأطاعوه، فإنهم كانوا كما قال تعالى في شأنهم: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ [1].

ولكن الرجل المؤمن يجد من إيمانه غير هذا، ويجد أن عليه واجبا أن يحذر وينصح ويبدي من الرأي ما يراه، ويرى من الواجب عليه أن يقف إلى جوار الحق الذي يعتقده كائنا ما كان رأي الطغاة، فطفق يذكرهم ببأس الله وبطشه وسننه في المكذبين للرسل، وضرب لهم الأمثال بما حل بالأحزاب من قبلهم ، كقوم نوح وعاد وثمود ، وكذا الذين من بعدهم كقوم لوط فقال: ﴿ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب ، ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام ، وهو أبلغ في هذا المقام من قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[2]؛ لأن فيه مبالغة حيث جعل المنفي فيه إرادة الظلم، ومن كان بعيدا عن إرادة الظلم كان عن الظلم أبعد[3].

ومعلوم أن لكل حزب كان يوم ، ولكن الرجل المؤمن جمعها في يوم واحد

---

[1] - سورة الزخرف ٤٣ : آية ٥٤ .

[2] - سورة فصلت ٤١ : آية ٤٦ .

[3] - الكشاف للزمخشري ١٦٥/٤ ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤٨٩/٤ طـ دار الفكر للطباعة والنشر

{ **مثل يوم الأحزاب** } فهو اليوم الذي يتجلى فيه بأس الله ، وهو يوم واحد في طبيعته على تفرق الأحزاب[1].

ثم يواصل الرجل المؤمن تذكيره قومه بأهوال يوم القيامة فيقول: ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ أي: إني أخشى عليكم عذاب يوم القيامة الذي يكثر فيه نداء أهل الجنة لأهل النار، ونداء أهل النار لأهل الجنة، ونداء الملائكة لأهل السعادة وأهل الشقاء، يوم تولون مدبرين من زفير النار وشهيقها، لا تجدون واقيا ولا مانعا ولا عاصما يعصمكم من عذاب الله ويمنعكم منه، وهذا تأكيد للتهديد، ومن أضله الله فلم يوفقه و لم يلهمه رشده ، فلا هادي له غيره يهديه إلى الصواب والنجاة، وفي هذا إيماء إلى أنه يئس من قبولهم نصحه .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ لعل فيها إشارة خفية إلى قولة فرعون: ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾؛ تلميحا بأن الهدى هدى الله ، وأن من أضله الله فلا هادي له[2].

وأخيرا لما ترسم فيهم قلة جدوى النصح لهم وأنهم مصممون على تكذيب نبي الله موسى عليه السلام فارتقى في موعظتهم إلى اللوم على ما مضى ، ولتذكيرهم

---

[1] - في ظلال القرآن ٥/٣٠٨٠ .

[2] - السابق .

بأنهم من ذرية قوم كذبوا يوسف عليه السلام لما جاءهم بالبينات ، فتكذيب المرشدين إلى الحق شنشنة معروفة في أسلافهم فتكون سجية فيهم فقال كما حكى القرآن الكريم : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولاً ﴾ أي: ولقد جاء آباءكم يوسف من قبل موسى بالآيات الواضحات والمعجزات الباهرات، فلم يزالوا في ريب من أمره، وشك من صدقه فلم تؤمنوا به، حتى إذا مات قلتم على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان : لن يأتي أحد يدعي الرسالة بعد يوسف.

قال أبو حيان في بحره: " ... وليس هذا تصديقا لرسالة يوسف، كيف وما زالوا في شك منه، وإنما المعنى لا رسول من عند الله فيبعثه إلى الخلق ، ففيه نفي الرسول ونفي بعثته"[1].

والخلاصة: أنهم كفروا بيوسف في حياته، وكفروا بمن بعده من الرسل بعد موته ، وظنوا أن ذلك لا يجدد عليهم الحجة[2].

ثم بين أنه لا عجب في تكذيبهم فقد طمس الله بصائرهم وران على قلوبهم حين وسوا أنفسهم بقبيح الخصال وعظيم الآثام. فقال:﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ

---

[1] - البحر المحيط ٤٦٥/٧

[2] - تفسير المراغي ٣١٤/٨ طـ دار الكتب العلمية – بيروت لبنان

هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ [1] أي : مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله كل مسرف في العصيان، شاك في الديان بعد وضوح الحجة والبرهان.

ثم اشتد في مواجهتهم بمقت الله ومقت المؤمنين لمن يجادل في آيات الله الدالة على وحدانيته وعلى كمال قدرته، وعلى صدق أنبيائه بغير حجة أو دليل ، وهم يفعلون ذلك في أبشع صورة، ويندد بالتكبر والتجبر ، وينذر بطمس الله لقلوب المتكبرين المتجبرين : ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ

---

[1] – قال الطاهر بن عاشور : " أكثر المفسرين على أن هذه الجملة حكاية لبقية كلام المؤمن ، وبعضهم جعل بعضها من كلام المؤمن وبعضها من كلام الله تعالى، وذلك من تجويز أن يكون قوله :{الذين يجادلون } إلخ بدلا أو مبتدأ ، وسكت بعضهم عن ذلك مقتصرا على بيان المعنى دون تصد لبيان اتصالها بما قبلها .

والذي يظهر أن قوله : { كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب } إلى قوله {جبار} كله من كلام الله تعالى معترض بين كلام المؤمن وكلام فرعون فإن هذا من المعاني الإسلامية قصد منه العبرة بحال المكذبين بموسى تعريضا بمشركي قريش ، أي كضلال قوم فرعون يضل الله من هو مسرف مرتاب أمثالكم، فكذلك يكون جزاؤكم ، ويؤيد هذا الوجه قوله في آخرها {وعد الذين آمنوا} فإن مؤمن آل فرعون لم يكن معه مؤمن بموسى وفرعون غيره ، وهذا من باب تذكر الشيء بضده . ومما يزيد يقيننا بهذا أن وصف { الذين يجادلون في آيات الله } تكرر أربع مرات من أول هذه السورة ، ثم كان هناك وسطا في قوله : { إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه} ثم كان خاتمة في قوله : { ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون }.

ينظر : التحرير والتنوير ١٤١/٢٤ – ١٤٢ .

أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

والتعبير على لسان الرجل المؤمن يكاد يكون طبق الأصل من التعبير المباشر في مطالع السورة : المقت للمجادلين في آيات الله بغير برهان ، والإضلال للمتكبرين المتجبرين حتى ما يبقى في قلوبهم موضع للهدى ، ولا منفذ للإدراك ، واختيار المضارع في :{ يجادلون } لإفادة تجدد مجادلتهم وتكررها وأنهم لا ينفكون عنها، ويا ليتها مجادلة بالتي هي أحسن ، إنهم يجادلون بما ليس بحجة ولكن باللجاج والاستهزاء[1]، الذي من نتائجه وآثاره الطبع والختم والأكنة على كل قلب كل إنسان متكبر عن الاستماع للحق متطاول ومتجبر على عباد الله بالعدوان والإيذاء .

وإنما وصف القلب بالتكبر والجبروت لكونه مركزهما ومنبعهما ، وهو سلطان الأعضاء ، وسائر الأعضاء تبع له ولهذا قال النبي ﷺ : " ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب"[2].

---

[1] – التحرير والتنوير ٣٤ / ١٤٢ ، وفي ظلال القرآن ٣٠٨١/٥ .

[2] – رواه البخاري في صحيحه كتاب "البيوع" باب " الحلال بين والحرام بين" ومسلم في صحيحه كتاب" المساقاة" باب " أخذ الحلال وترك الشبهات"برقم ١٥٩٩ عن النعمان بن بشير.

قال الجمل في حاشيته :" وهذه الصفة – وهي الجدال بالباطل بدون برهان – موجودة في فرعون وقومه، ويكون الرجل المؤمن قد عدل عن مخاطبتهم إلى الاسم الغائب لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم. وأبرز ذلك في صورة تذكرهم فلم يخصهم بالخطاب. وفي قوله: {كبر} ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم"[١] .

وعلى الرغم من هذه الجولة الوعظية الزاخرة بالحكم الحكيمة ، والتوجيهات السليمة، والإرشادات القويمة التي تستميل القلوب من الرجل المؤمن لقومه، فقد ظل فرعون في ضلاله، مصرا على التنكر للحق، ولكنه تظاهر بأنه آخذ في التحقيق من دعوى نبي الله موسى ، ويبدو أن منطق الرجل المؤمن وحجته كانت من شدة الوقع بحيث لم يستطع فرعون ومن معه تجاهلها فاتخذ لنفسه مهربا جديدا ليصل به إلى قلوب الناس . أراد أن يهدم أساس الدعوة ، وينفي وجود الإله بالدليل الحسي ، ويعلم الناس أن قول موسى إني رسول من رب العالمين خطأ باطل[٢].

---

[١] - ينظر : حاشية الجمل على الجلالين ١٥/٤ ، ويراجع : البحر المحيط ٤٦٥/٧.

[٢] - يراجع في ذلك: في ظلال القرآن٥/٣٠٨١ – ٣٠٨٢ بتصرف، والتفسير الواضح للشيخ/محمد محمود حجازي٢٤/٣١- ٣٢ ط دار الكتاب العربي مصر.

ولهذا قال:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ[1] كَٰذِبًا ﴾ والمعنى: يا هامان ابن لي بناء عاليا ظاهرا لعلي أصل إلى أبواب السماء وطرقها، فإذا وصلت إليها بحثت عن إله موسى هناك ، ثم أكد ذلك بقوله : وإني لأظن موسى كاذبا في ادعائه بأن له إلها غيري .. هكذا يموه فرعون الطاغية ويحاور ويداور، كي لا يواجه الحق جهرة، ولا يعترف بدعوة الوحدانية التي تهز عرشه، وتمدد الأساطير التي قام عليها ملكه[2]. ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي : ومثل ذلك التزيل البليغ المفرط في الغباوة والطبع على القلوب زين لفرعون الجبار سوء عمله وقبح صنعه، وصد عن سبيل الحق والعدل والإنصاف أو صد غيره عن ذلك.

ويعقب السياق على هذا المكر والكيد بأنه صائر إلى الخيبة والدمار ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾.

وأمام هذه المراوغة ، وهذا الاستهتار، وهذا الإصرار ألقى الرجل المؤمن كلمته الأخيرة مدوية صريحة ، بعدما دعا القوم إلى أتباعه في الطريـــق إلى الله، وهـــو

---

[1] - المراد بالظن في قوله تعالى : { وإني لأظنه كاذبا } اليقين ، لقوله تعالى في آية أخرى : ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾ سورة القصص ٢٨ : آية ٣٨ .

[2] - في ظلال القرآن ٣٠٨٢/٥ .

طريق الرشاد، وكشف لهم عن قيمة هذه الحياة الزائلة، وشوقهم إلى نعيم الحياة الباقية، وحذرهم عذاب الآخرة، وبين لهم ما في عقيدة الشرك من زيف ومن بطلان.

ثم أردف هذا ببيان أن الأصنام لا تستجاب لها دعوة، فلا فائدة في عبادتها ، ومرد الناس جميعا إلى الله العليم بكل الأشياء ، وهو الذي يجازي كل نفس بما كسبت وأن المسرفين في المعاصي هم أصحاب النار [1].

ويحكي القرآن الكريم كل ذلك فيقول : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

---

[1]- في ظلال القرآن ٥/٣٠٨٢.

وماذا يبقى بعد هذا البيان الواضح الشامل الذي يحمل بين طياته وفي عباراته الحقائق الرئيسة في العقيدة ؟ وقد جهر بها الرجل المؤمن

في مواجهة فرعون وملئه بلا تردد ولا تلعثم ، بعدما كان يكتم إيمانه، فأعلن عنه هذا الإعلان الصريح ، وبذلك لا يبقى إلا أن يفوض أمره إلى الله الذي أحاط بكل شيء علما وقدرة، وقد قال كلمة وأراح ضميره، مهددا إياهم بأنهم سيذكرون كلمته هذه في موقف لا تنفع فيه الذكرى، والأمر كله إلى الله[1].

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

قال الطاهر بن عاشور :" **هذا الكلام متاركة لقومه ، وتنهية لخطابه إياهم ، ولعله استشعر من ملامحهم أو من مقاطعتهم كلامه بعبارات الإنكار ما أيأسه من تأثرهم بكلامه ، فتحداهم بأنهم إن أعرضوا عن الانتصاح لنصحه سيندمون حين يرون العذاب** ..."[2]. إلا أن القوم صموا آذانهم، وأصروا على

[1]- السابق بتصرف .

[2]- ينظر: التحرير والتنوير ١٥٦/٢٤.

استكبارهم ، وضاقوا ذرعا بهذا الرجل المؤمن الجريء الناصح الفصيح الـــذي فجأهم برأيه ، وسفه أحلامهم بهديه،فناوءوه [1]وسفهوه، وهموا به ليقتلوه

﴿ فَوَقَىٰهُ [2] ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾

أي : حفظه الله تعالى من شدائد مكرهم ، ومن أنواع العـــذاب الـــذي أرادوا إلحاقه به، وأحاط بفرعون وقومه أسوأ العذاب في الدنيا بالغرق في الـــيم، وفي الآخرة بدخول جهنم وبئس القرار[3].

أرأيت كيف استحق هذا المؤمن - بقوله للحق حيث كان مرا وبمبالغته في نصح قومه – أن يوصف بالرجولية ؟! ثم أرأيت كيف حفظه الله تعالى ووقاه ؟ !! حتى لا يجبن مؤمن عن قول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم ولا يبخل بالنصيحة لله تعالى، وإلا ضاعت هويته وسقطت رجوليته.

1- فناوءوه : باعدوه ، تناءوا : تباعدوا . والمنتأى : الموضع البعيد ، والعرب تقول : نأي فلان عني ينأى إذا بعد . لسان العرب " نأى " ٤٣١٤/٦ ، ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الـــرازي صـــ ٦٤٢ طـــ دار الرسالة – الكويت

٢ - عن ابن عباس أن هذا المؤمن لما أظهر إيمانه قصد فرعون قتله فهـــرب ونجـــا . روح المعـــاني ٧٢/٢٤. وقال قتادة : هرب هذا المؤمن إلى الجبل فلم يقدروا عليه. القرطبي ٣١٨/١٥ .

٣ - يراجع في ذلك : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨١/٤ بتصرف ، وتفسير المراغـــي ٣٢٠/٨ بتصرف .

الفوائد والنتائج

إن دعوة الإيمان دائما تثمر " **رجالا** " تنفتح لهم أبواب الحكمة فتجري على ألسنتهم ، وهذا يظهر في تعبيرات مؤمن آل فرعون .

فالمتأمل في قصته وما سُجل فيها من مواقف تنم وتكشف عن رجوليته يلمح من بين يديها ، ومن خلفها ، وعن يمينها ، وشمالها أنوارا سماوية تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم فيستنتج منها فوائد جمة منها:

أولا : في هذه القصة القرآنية الكريمة يتبين لنا أن مؤمن آل فرعون في أسلوبه الذي سجله القرآن الكريم كان يفتح مغاليق الحكمة أمام قومه ؛ علهم يراجعون أنفسهم ، ويظهر ذلك عندما يتساءل بعدما رأى التدبير والكيد ضد نبي الله موسى عليه السلام على قدم وساق فيقول لهم كما حكى القرآن الكريم: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ وهذا يعد من أفضل أنواع الجهاد ، جهاد الكلمة الذي قال عنه رسول الله ﷺ : " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"(١) . وهذا من أعلى مراتب هذا المقام ، فإن فرعون لا أشد جورًا منه ، وهذا الكلام لا أعدل منه ؛ لأن فيه عصمة نبي .

---

١ - سبق تخريجه

ثانيا : أن المتأمل في أسلوب هذا الرجل يجد أنه لم يأت بدعواه خلوا من الدليل ، ويظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ فأثبت دعواه بالأدلة القاطعة .

ثالثا : إن حوار هذا الرجل كان حوارا منطقيا ؛ حيث بين لهم أن الكذب لا يؤذي إلا صاحبه حيث قال: ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ﴾ كأنه يريد أن يقول لهم: لو كان كاذبا فكذبه مردود عليه وحده فلم تكلفون أنفسكم مطاردة رجل كذاب في زعمكم ؟! والقرآن منصف في أسلوبه ؛ حيث وضح أن الرجل المؤمن يريد أن يبين لهم أن موسى عليه السلام ليس كاذبا بدليل مطاردتهم له، فالمطاردة تعني الصدق، إنهم يوقنون من صدقه ويستكبرون عن اتباعه، ومما يؤيد ذلك ويؤكده ما حكاه القرآن عن نبي الله موسى عليه السلام في محاورته فرعون اللعين : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [1].

رابعا : في القصة الكريمة ما يدل على أن الرجل المؤمن كان لا يطمع في ملك وجاه بل يكتفي بثروة الإيمان الخالص لله تعالى ، وهذا
يُلحظ حين تحدث عن الملك والسلطان، قال: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ﴾ فخصهم بالملك ، وحين تحدث عن بأس الله وعذابه أدخل الجميع فقال: ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا

---

[1] - سورة الإسراء ١٧ : آية ١٠٢ .

مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ فاعتبر نفسه منهم في ذلك ، ولم يعتبر نفسه منهم في الملك .

خامسا : **من خلال حديثه معهم ركز على أربعة محاور هامة :**

أحدها : يذكر قومه بيوم الأحزاب ، وهو اليوم الذي أهلك فيه كل مكذب، وليس المقصود يوما واحدا بل هي أيام أهلكوا فيها ، فقد مضى على درب الهلاك قوم نوح وعاد وثمود ، وأقوام آخرون سلكوا نفس الطريق فلاقوا نفس النتيجة .

ثانيها : التذكير بيوم التناد وهو يوم القيامة، يوم المناداة بالبعث للحساب والوقوف أمام الله سبحانه وتعالى .

ثالثها : تذكيرهم بموقفهم السابق من رسالة نبي الله يوسف عليه السلام وشكهم فيها، فهم دائمون الشك في الرسالة ، وهو ينبههم إلى أن موقف اليوم من رسالة موسى ليس غريبا عن موقف الأمس من رسالة يوسف ، وفي ذلك دعوة إلى النظر في المواقف ورفض الفاسد منها ، وموقفهم من رسالة موسى فاسد ولا شك .

رابعهـــا : المجادلة في آيات الله تعالى وآثارها، فإن آيات الله تعالى ليست هينة يتجرأ عليها من يشاء من المسرفين والمرتابين .

خامسها : هذا الرجل المؤمن كان في نصحه لقومه من أشد الناس إخلاصا وحبا وحرصا على إنقاذهم من ورطة الكفر، والدخول في ساحة الإيمان بالله وحده.

سادسها : من النتائج الهامة أن هذا الرجل المؤمن قد كرر النصح لفرعون وقومه وأكده ، ونوّع الخطاب في الموعظة بين الترغيب والترهيب ، إذ نـادى قومـه مرارا مؤكدا دعوتهم إلى الإيمان الذي يوجب النجاة ، وترك الكفر الذي يوجب النار، وكذلك كان من نصائحه العظيمة أنه حذرهم مـن الاغتـرار بالـدنيا وزخارفها ، كما زهدهم فيها بعد أن آثروها على الآخرة .

سابعـها : لقد حفظ الله جلت قدرته هذا الرجل المؤمن من إلحـاق أنـواع العذاب به، فطلبوه فما وجدوه، لأنه فوض أمره إلى الله، وهذا شأن الداعية إلى الله أبدا عليه أن يُذكّر فقط، والأمر بعد ذلك لله، وهذه النتيجة تجعل المـؤمن الداعية أكثر اطمئنانا فلا ييأس إذا اشتد عليه قومه، ولا يحزن إذا هم أعرضـوا عنه أو تنكروا له، لأنه يعمل في ظل الله وعلى طريق الله تعالى.

ثامنـها: إن القصص القرآني تنعكس أنواره دائما وباستمرار علـى صـحابة رسول الله ﷺ ، فقد وقف سيدنا أبو بكر الصديق عليه السلام هذا الموقف الذي وقفه مؤمن آل فرعون مع موسى عليه السلام .

روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ. قال : رأيت عقبة بن أبي معيط

جاء إلى النبي ﷺ فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [١].

تاسعـــها: هذه الصفات التي سجلتها لنا هذه القصة القرآنية إذا تمثلـــها دعـــاة اليوم وفهموها استراحوا لما يلاقونه من عنت وإرهاق من الطغاة الذين أســـرفوا وارتابوا وجادلوا في آيات الله بغير سلطان أتاهم . والله أعلم.

النموذج الثالث : مؤمن آل ياسين ناصح حكيم :

إنه الرجل الذي جاء من أقصى موضع من المدينة، وأبعد مكان في البلد – وهي إنطاكية – هذا الرجل هو حبيب النجار[٢]المعروف بصاحب يس ، وكان قد آمن وأقام بغار يعبد الله فيه، ولما سمع بتكذيب قومه لرسل الله، وتطاولهم عليهم، ومحاوراتهم لهم وقولهم: ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣] فقد هددوا الرسل الكرام بالرجم والعذاب الأليم .

---

١ - رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة فضائل أبي بكر.

٢ - لأنه كان يشتغل بالنجارة . وقد ذكر بعض المفسرين هنا من ذكر صناعته وحاله قبل مجيئــه ، والذي أراه أنه لا حاجة إلى ذلك ؛ لأنه لم يرد نص صريح يعتمد عليه فيما ذكروه عنه ، ويكفيه فخرا هذا الثناء من الله تعالى بصرف النظر عن اسمه أو صفته أو حاله ؛ لأن المقصود من هـــذه القصة وأمثالها في القرآن الكريم هو الاعتبار والإقتداء بأهل الخير .

٣ - سورة يس ٣٦ : آية ١٨ .

بعد تلك المحاورات التي دارت بين أهل القرية وبين الرسل ، والتي أفصح عنها القرآن الكريم ، وجعلها مثلا يدل على أن أهل هذه القرية كانوا مثلا في السفاهة والكراهة للخير والحق، يأتي دور الرجولية الصادقة التي تنم عن استجابة الفطرة السليمة لدعوة الحق المستقيمة ، فيها الصدق والبساطة والحرارة واستقامة الإدراك وتلبية الإيقاع القوي للحق المبين[١].

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ[٢] رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾[٣].

والمعنى : وجاء رجل من أبعد أطراف المدينة، رجل كامل الرجولية ثارت فيه رجوليته، ذو فطرة سليمة، يسرع في مشيته لما سمع بخبر هؤلاء الرسل ؛ ليقوم

---

١ - في ظلال القرآن ٥/٢٩٦٢ – ٢٩٦٣

٢ - عبر هنا بالمدينة بعد التعبير عنها في أول القصة بالقرية في قوله تعالى : {واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ...} آية ١٣ للإشارة إلى سعتها ، وإلى أن خبر هؤلاء الرسل قد انتشر فيها من أولها إلى آخرها. روح المعاني ٢٢/ ٢٢٦.

٣ - سورة يس ٣٦ : الآيات من ٢٠ : ٢٥

بواجبه في نصح قومه ودعوتهم إلى الحق، وفي كفهم عن البغي ، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين .

وفي تنكير { **الرجل** } مع أنه كان معروفا معلوما عند الله تعالى فائدتان :

الأولى: أن يكون تعظيما لشأنه ، أي : رجل كامل الرجولية .

الثانية : أن يكون مفيدا لظهور الحق من جانب المرسلين ، حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به ، فلا يقال إنهم تواطئوا[1].

والتعبير بقوله:{**يسعى**} يدل على صفاء نفسه،وسلامة قلبه،وعلو همته، ومضاء عزيمته، حيث أسرع بالحضور إلى الرسل وإلى قومه، ليعلن أمام الجميع كلمة الحق، و لم يرتض أن يقبع في داره وهو يرى الضلال من حوله ، والجحود والفجور – كما يفعل الكثيرون– بل هرول نحو قومه، وسعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره ليقوم بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ناصحا أمينا.

والظاهر– والله أعلم – أن هذا الرجل لم يكن ذا جاه ولا سلطان، و لم يكن في عزوة من قومه أو منعة من عشيرته، ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها ليقدم لقومه وأهله خير نصيحة ، ويشفق عليهم ويستعطفهم قائلا : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ يا قومي ويا أهلي

---

[1] – ينظر: التفسير الكبير لفخر الدين الرازي ٩٩/٢٥ طـ دار الغد العربي ، ويراجع : روح المعاني ٢٢٥/٢٢

: اتبعوا المرسلين فإنهم صادقون في دعوى الرسالة . ثم أكد هذه الدعوة بقوله : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ : اتبعوا من لا يسألكم في حال من الأحوال أجرا ، ولا يطلب منكم مالا ولا يبتغي مغنما ، ولا يسعى إلى رياسة أو غرض ، وهم مهتدون ثابت لهم الاهتداء لا يزايلهم، سائرون على الطريق الحق، والمنتهج القويم، فهم يدعون إلى إله واحد ، ويدعون إلى نهج واضح، ويدعون إلى عقيدة لا خرافة فيها ولا غموض[1].

وهذا كاف في اتباع الرسل لو أنصف النـاس ، وتلـك كلمـة جامعـة في الاستجابة لدعوة الرسل[2].

ثم عاد هذا الرجل الداعية الصافي القلب يتحدث عن نفسه هو، وعن أسباب إيمانه، ويناشد فيهم الفطرة التي استيقظت فيه فاقتنعت بالبرهان الفطري السليم ، فقال كما حكى القرآن الكريم : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾[3]

---

[1] - في ظلال القرآن٥/٢٩٦٣

[2] - الكشاف للزمخشري ١١/٤

[3] - سورة يس ٣٦ الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

إنه تساؤل الفطرة السليمة الشاعرة بالخالق جل جلاله، المشدود إلى مصدر وجودها الوحيد ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[1] وما الذي يمنعني من عبادة من فطرني وخلقني فسواني في أحسن صورة ، وإليه وحده ترجع الخلائق يوم القيامة للثواب والعقاب، وهكذا المنصف يعبد الله وحده؛ لأنه خلقه، أو يعبده؛ لأنه سيحاسبه فهو يعبد رغبا ورهبا.

وفي هذا ترغيب بعبادة الله تعالى ، وترهيب من عقابه ، ثم أكد سلامة منهجه ، وتقريعهم ، وتوبيخهم على عبادة الأصنام فقال: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ أأتخذ من دونه آلهة لا تشفع ، ولا تنفع ، ولا تبصر ، ولا تسمع فأعبدها وأترك عبادة من يستحق العبادة ؟! فإنه إن أرادني الرحمن بسوء لم تنفعن شفاعة هذه الأصنام التي تعبدونها، ولا تخلصني من ورطة السوء، ولا هم ينقذونني مما بي، فلأي شيء يُعبدون؟ أليست العبادة تقديسا لمن يستحق التقديس؟ إني إذ أعبد حجرا أو مخلوقا لا ينفع ولا يضر فإني في الحقيقة والواقع في خطأ واضح، وجهل فاضح وانحراف. وهذا تعريض بهم ،ثم صرح بإيمانه تصريحا لا شك فيه مخاطبا رسل

---

[1] - في ظلال القرآن ٢٩٦٣/٥

الله تعالى :﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾[١]أي: إني صدقت بربكم الذي أرسلكم ، فاشهدوا لي بذلك عنده .

ولكن هذه النصائح الغالية الحكيمة من الرجل الصالح لقومه لم تصادف آذانا واعية ، بل إن سياق القصة بعد ذلك ليوحي بأن قومه قتلوه، فقد قال الله تعالى بعد أن حكى نصائح هذا الرجل لقومه : { قيل ادخل الجنة... } أي : قالت الملائكة لهذا الرجل الصالح عند موته على سبيل البشارة ادخل الجنة بسبب إيمانك واستقامتك وعملك الصالح .

والظاهر أن الأمر المقصود به الإذن له بدخول الجنة حقيقة ، وفي ذلك إشارة إلى أن الرجل قد فارق الحياة ، فعن ابن مسعود أنه بعد أن قال ما قال قتلوه[٢]. وقيل: الأمر للتبشير لا للإذن بالدخول حقيقة ، أي : قالت ملائكة الموت وذلك على سبيل البشارة له بأنه من أهل الجنة يدخلها إذا دخلها المؤمنون بعد البعث[٣].فلما جاءته البشارة بدخول الجنة ، أو عاين نعيمها المقيم قال:

﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾[٤].

---

١ - روي عن ابن عباس وكعب ووهب ٢م: أنه لما قال ذلك وثبوا عليه فقتلوه،ولم يكن له أحد يمنع عنه. وقال قتادة: جعلو يرجمونه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، فلم يزالوا به حتى مات رحمه الله.تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٦٨/٣

٢ - روح المعاني ٢٢٨/٢٢

٣ - روح المعاني مصدر سابق

٤ - سورة يس ٣٦ : آية ٢٦ – ٢٧

أي : قال يا ليت قومي الذين قتلوني ولم يسمعوا نصحي يعلمون بما نلته من ثواب من ربي ، فقد غفر لي سبحانه وتعالى بمنه وكرمه وجعلني من المكرمين عنده بفضله وإحسانه .

قال أبو الفداء ابن كثير [ت ٧٧٤ هـ]: "ومقصوده – من هذا القول– أنهم لو اطلعوا على ما حصل عليه من ثواب ونعيم مقيم لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل، فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصا على هداية قومه"[١] وبذا فقد جهر بكلمة الحق، متبعا صوت الفطرة ، وقذف بها في وجوه من يملكون التهديد والتنكيل ، بل وقد نصح لقومه حيا وميتا يتمنى علمهم بإكرامه تعالى له ليعملوا مثل عمله فينالوا ما ناله.

قال حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ﵄ :" نصح قومه في حياته بقوله ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ ، وبعد مماته في قوله: ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾[٢].

وشبيه بهذا الموقف الرجولي ما رواه ابن أبي حاتم أن عروة بن مسعود الثقفي قال للنبي ﷺ: ابعثني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام، فقال له ﷺ:" **إني أخاف أن يقتلوك**" فقال: يا رسول الله، لو وجدوني نائما أيقظوني. فقال له رسول الله ﷺ: "**انطلق إليهم**" فانطلق إليهم فمر على اللات والعزى فقال: لأصبحنك غدا بما

---

١ – ينظر : تفسير القرآن العظيم ٥٦٨/٣

٢ – المصدر السابق

يسوؤك، فغضبت ثقيف، فقال لهم : يا معشر ثقيف: أسلموا تسلموا – ثلاث مرات – فرماه رجل منهم فأصاب أكحله[1] فقتل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: "هذا مثله كمثل صاحب يس ، قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين"[2].

---

[1] - الأكحل : عرق في وسط الذراع يكثر فصده .النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٥٤/٤ ضـ دار الفكر – بيروت .

[2] - أخرجه ابن أبي حاتم في سورة يس في قوله تعالى عن أصحاب القرية آية ١٣ ١٠/٣١٩١ ط نزار مصطفى الباز . مكة المكرمة – الرياض والحاكم في المستدرك / كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر عروة بن مسعود الثقفي ﷺ عن عروة بن الزبير ، وقال الذهبي : هذه رواية ابن لهيعة وهو ضعيف .

وأخرجه الطبراني في الكبير ١٤٨/١٧ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٨٦/٩ ، وقال : رواه الطبراني وروي عن الزهري نحوه ، وكلاهما مرسل وإسنادهما حسن .

الفوائد والنتائج

من هذه القصة القرآنية نأخذ هذه النتائج التالية :

أولا: أنه لا يعدم الحق في كل زمان أنصارًا له وإن كانوا قلة ، وكان أهل الباطل كثرة ، فقد قيض الله تعالى رجلا مؤمنا من أهل قرية إنطاكية استقر الإيمان في قلبه ومشاعره ووجدانه وصار مثلا يحتذى به في نصرة الحق ، وإبداء شجاعة الرجولية الكاملة ، فعندما سمع بخبر الرسل وتكذيب قومه لهم ثارت فيه رجوليته ، فأقبل يسعى ويسرع إليهم معلنا كلمة الحق، داعيا إليها ، مدافعا عنها دفاعا قويا دون أن يخشى أحدا إلا الله ، ناصحا قومه بشتى الأساليب إلى اتباعه، مقيما لهم ألوانا من الأدلة على صحة ما يدعو إليه، ثم يشاهدهم في النهاية ، ويشهدهم على هذه المصارحة بأنه قد آمن بما جاء به الرسل إيمانا حقا لا يقبل الشك ، أو التردد ، ولا يثنيه عنه وعد ، أو وعيد ، أو إيذاء أو قتل.

ثانيا : أن دعوة الرسل دعوة خالصة لله سبحانه وتعالى، وأن الرسالة منهج إلهي تعيشه البشرية، وحياة الرسل هي النموذج الواقعي للحياة وفق المنهج الإلهي ، وذلك النموذج الذي يدعو قومه إلى الاقتداء به ، فإن الرسل على حق وهدى ، لا يطلبون مالا على تبليغ الرسالة ، وهذا دليل إخلاصهم وعدم اتهامهم .

ثالثا: في هذه القصة القرآنية حث على المبادرة إلى مفارقة الأشـــرار واتبـــاع الأخيار، والحلم على أهل الجهل، وكظم الغيظ، والتلطف في خلاص الظالم من ظلمه، وأنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة وإن كان محسنا.

قال الإمام القرطبي عند قوله تعالى: ﴿ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ "وفي هذه الآية تنبيه عظيم ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم على أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار ، وأهل البغي، والتشمير في تخليصه ، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه.ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل ، وهم كفرة عبدة أصنام" [1].

رابعا : في هذه القصة دلائل إعجازية بيانية منها :

١- **قال في هـــذه القصـــة:** ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ وفي سورة القصـــص: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾[2] فهنـــا قـــدم { **وجاء من أقصى المدينة** } مقدما على رجل عكس ما جاء في القصـــص ؛ وذلك لأن تقديم الجار والمجرور وهو {**من أقصى المدينة**} على الفاعل الـــذي حقه التقديم بيانا لفضله ، إذ هداه الله مع بعده عنهم، وأن بعده لم يمنعه عـــن ذلك ، ولذا عبر بالمدينة هنا بعد التعبير بالقرية إشارة إلى السعة ، وأن الله تعالى

---

[1] - ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٦ .

[2] -سورة القصص ٢٨ : آية ٢٠ .

يهدي من يشاء سواء قرب أو بعد. وقيل : قدم للاهتمام حيث تضمن الإشارة إلى أن إنذارهم قد بلغ أقصى المدينة فيشعر بأهم أتوا بالبلاغ المبين . وقيل : إنه لو أخر توهم تعلقه بـــ " **يسعى** " فلم يفد أنه من أهل المدينة مسكنه[1].

٢- **في سورة غافر قال مؤمن آل فرعون:** ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ ﴾ [2] وهنا قال مؤمن آل ياسين : { يا قوم اتبعوا المرسلين } فما الفرق ؟

نقول : هذا الرجل وفي أول مجيئه نصحهم وما رأوا سيرته ، فقال : اتبعوا هؤلاء الذين أظهروا لكم الدليل، وأوضحوا لكم السبيل ، وأما مؤمن آل فرعون فكان فيهم واتبع موسى ونصحهم مرارا فقال : اتبعوني في الإيمان بموسى وهارون – عليهما السلام – ، واعلموا أنه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي ، وأنتم تعلمون أني اخترته ، ولم يكن للرجل الذي من أقصى المدينة يسعى أن يقول : أنتم تعلمون اتباعي لهم[3].

---

[1] - حاشية الشهاب للخفاجي على تفسير البيضاوي ١٣/٨ طــ دار الكتب العلمية – بيروت ، وروح المعاني ٢٢٦/٢٢ .

[2] - سورة غافر ٤٠ : آية ٣٨

[3] - التفسير الكبير ١٠٠/٢٥

المطلب الخامس

المعلم الخامس

الرجولية والصدق في العهد

من معالم الرجولة وصفاتها في الكتاب العزيز صدق العهد مع الله تعالى، ففي القرآن الكريم قصص لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الصبر في حال الشدة والبأس، فأدوا حق الإسلام عليهم، حتى سجل لهم القرآن الكريم هذا العهد المعطر بالصدق في الأقوال والأفعال والأعمال مبينا عظيم منزلة هؤلاء الرجال عند ربهم وما أعده لهم من الأجر والكرامة . قال تعالى:﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴾[1]

هذه الآية الكريمة تصف رجالا معينين من المؤمنين، فهي ليست في جميعهم، وإنما هي في خلاصة منهم استجابوا لله وللرسول الكريم .

قال جار الله الزمخشري: " نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان[2]، وطلحة بن عبيد

---

[1] - سورة الأحزاب ٣٣: آية ٢٣ . تهذيب التهذيب لابن حجر ٩١/٤ طـ دار إحياء التراث العربي البداية والنهاية لابن كثير ١٩٠/٦ طـ دار الغد العربي

١ – أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الخليفة الراشد الثالث توفي رحمه الله سنة [٣٥هـ/ ٦٥٥م]. ينظر في ترجمته

الله[١]، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[٢]، وحمزة بن عبد المطلب[٣]، ومصعب بن عمير[٤] ﷺ أجمعين ، وقد أخرج الترمذي وابن ماجة والحاكم أن رسول الله ﷺ قال : " من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله"[٥].

وقالوا : المراد بهؤلاء الرجال هم : أنس بن النضر وأصحابه ، وكان قد تخلف في بدر .

٢- طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي أبو محمد المدني أحد المشهود لهم بالجنة وأحد السابقين إلى الإسلام . توفي رحمه الله سنة [٣٦هـ] في موقعة الجمل وهو ابن ٦١ سنة أو ٦٢ سنة . تهذيب التهذيب ١٦/٣ -١٧ .

٣- سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي أبو الأعور أحد العشرة ، روى عن النبي ١ وعنه ابنه هشام وابن عمر وعمرو بن حريث وأبو الطفيل وغيرهم . توفي رحمه الله بالعتيق فحمل إلى المدينة فدفن بها وذلك سنة [٥٠ أو ٥١ هـ] وقال عبد الله بن سعيد الزهري : مات سنة [٥٢ هـ] . تهذيب التهذيب ٣٠٥/٢ – ٣٠٦

٣- حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله ، ابن عم النبي وأخوه من الرضاعة ، أسلم بمكة وحسن إسلامه ولقي الله شهيدا في غزوة أحد . الإصابة ٣٧٠/١ .

٤- مصعب بن عمير ، من السابقين الأولين ، كان من أوائل من هاجر إلى المدينة لتعليم أهلها ، ولقي الله شهيدا في أحد . الإصابة ٥٦٠/١ .

٥- رواه الترمذي في سننه . كتاب : المناقب ٦٤٤/٥ ، والحاكم في المستدرك ٤٢٤/٣ ، وابن ماجة في سننه . المقدمة . باب : فضل طلحة بن عبيد الله ٢ ٤٦/١ . ط فؤاد عبد الباقي .

روى الإمامان البخاري ومسلم – رحمهما الله - عن أنس أنه قال: "عمي الذي سميت به[١] لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرا فشق عليه فقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، لئن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها[٢]، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، فاستقبله سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: يا أبا عمرو أين؟ فقال: واها[٣]لريح الجنة أجدها دون أحد ، فقاتل حتى قُتل، فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية، قال: فقالت أخته - عمتي الرُّبيع بنت النضر – فما عرفت أخي إلا ببنانه. قال: ونزلت هذه الآية: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ .... ﴾ فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه"[٤].

وقد وُصف هؤلاء الأماثل من الرجال، والأوفياء من المؤمنين الذين صفت أرواحهم من الكدر، وطهرت قلوبهم من الرين، وسلمت صدورهم من الغش،

---

١ - "الذي سميت به " أي : باسمه ، وهو أنس بن النضر ٢

٢ - " فهاب أن يقول غيرها " معناه : أنه اقتصر على هذه اللفظة المبهمة وهي قوله : " ليرين الله ما أصنع " مخافة أن يعاهد الله على غيرها فيعجز عنه أو تضعف بنيته عنه أو نحو ذلك ، وليكون أبرأ له من الحول والقوة .

٣ - واها : كلمة تحنن وتلهف قالها أنس لسعد

٤ - أخرجه البخاري . كتاب : الجهاد ، باب : قول الله عز وجل: " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا " ٢١/٦ . ومسلم . كتاب : الإمارة ، باب : ثبوت الجنة للشهيد .

وعلت نفوسهم عن كل محقر دنيء، وُصفوا بالصدق الذي هو فرع الإخلاص، وعنوان سلامة النفس، ونقاء الفطرة، وقد بين الصادق المعصوم صلوات الله وسلامه عليه أن التزام الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا[١]، والصديقون هم الذين يأتون في أعقاب النبيين ويتقدمون الشهداء والصالحين ، ومراتب هؤلاء معلومة ، ثم إنهم جميعا شملهم إنعام الله تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة لسائر الإنعامات الظاهرة والباطنة ، والحسية والمعنوية كما يقتضيه تعميم الإنعام المستفاد من عدم تقييده بنوع ما، وهو قوله عز وجل : ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾[٢] لتذهب النفس في تفسيره أي مذهب .

ونلحظ في الإخبار عن هؤلاء الرجال بالصدق فيما عاهدوا الله عليه، بعد الإخبار عن الله ورسوله بالصدق مباشرة، إشارة رامزة إلى أن الترقي في مراشد

---

[١] - هذا جزء من حديث نبوي عن عبد الله بن مسعود نصه: "عليكم بالصدق = فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا" . أخرجه البخاري . حديث رقم [٥٧٤٣] ٥/٢٢٦١ ، ومسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب : قبح الكذب وحسن الصدق وفضله . حديث رقم [١٠٥] ، وشرح مسلم للنووي ١٦١/٦

[٢] - سورة النساء ٤ : آية ٦٩

الحق والخير يسمو بصاحبه إلى أوصاف الربوبية حتى يكون ربانيا يقول للشيء كن فيكون ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[١].

والتنكير في قوله : { **رجال** } يفيد التعظيم والثناء لهؤلاء الرجال، وأنهم رجال أي رجال ، وأنهم قلة في كل زمان ومكان، وفيه رمز إلى أنهم لا يرغبون في التعريف بأنفسهم والتشهير بأعمالهم، فهم هؤلاء الجنود المجهولون الذين ينطلقون في غير صخب ولا دعاية، ماضين في الخير بعزائم صارمة ، وأقدام راسخة، وفي ضوء هذا تُنَحِّي الآية الكريمة هؤلاء الذين يفاخرون بأعمالهم وينوهون ببلائهم من دائرة الصدق؛ لأن تنويه المرء بأعماله وتفاخره ببلائه لا يكون إلا لكسب الحمد والثناء من الناس، ومن فعل ذلك فقد حبط عمله، وكذب في دينه؛ لأن الصدق معناه : أن لا تتجه في أمر من الأمور إلا لله الذي هو أعلى وأكبر من أن يكون له في عملك شريك، وكم تعاني الحياة من هؤلاء الذين يقولون فعلنا وفعلنا، وهم لا يدرون أن سمت الصادقين هو التنكير لا التعريف والبُعد عن التشهير والادعاء[٢].

وقد لحظ الحكيم الترمذي في هذه الآية ربطا وثيقا بين صفتي الرجولية والصدق، وجعل الصدق عنوان الرجولية، وأمارة عليها، قال رحمه الله تعالى :

---

١ - ينظر : من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب للدكتور محمد محمد أبو موسى صـ ١٧٦ الناشر مكتبة وهبة .

٢ - السابق .

" خص الله الإنس من بين الحيوان، ثم خص المؤمنين من بين الإنس ، ثم خص الرجال من المؤمنين ، فقال :

{رجال **صدقوا** } فحقيقة الرجولية الصدق، ومن لم يدخل في ميادين الصدق فقد خرج من حد الرجولية[1].

وقوله : { **فمنهم من قضى نحبه** } النحب : النذر، أي قضى نذره كأنه ألـزم نفسه أن يموت فوفى بنذره ، أي : من المؤمنين من وفى بما عاهـد عليـه مـن الجهاد[2].

وقد حمل بعض المفسرين { **قضى نحبه** } في هذه الآية الكريمة على الموت في الجهاد على طريقة الاستعارة بتشبيه الموت بالنذر في لزوم الوقوع[3]؛ لأن الموت كنذر لازم في عنق الحي .

قال جار الله الزمخشري: " فإن قلت : ما قضاء النحب ؟ قلت : وقع عبارة عن الموت ! لأن كل حي لا بد له من أن يموت ، فكأنه نذر لازم في رقبته ، فـإذا

---

[1] - السابق

[2] - يراجع : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي . تحقيق : محمد باسل عيون السود ١٤٨/٤ – ١٤٩ ط دار الكتب – بيروت – لبنان ، والتحرير والتنوير ٣٠٧/٢١

[3] - التحرير والتنوير مصدر سابق

فقد قضى نحبه ، أي : نذره . وقوله : { **فمنهم من قضى نحبه** } يحتمل موته شهيدا ، ويحتمل وفاء بنذره من الثبات مع رسول الله ﷺ[١].

والذي قضى نحبه رجال منهم : أنس بن النضر ومصعب بن عمير شهداء المسلمين الذين قضوا أجلهم واستشهدوا في المعركة على الوفاء بعهدهم الذي عاهدوا وصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وقوله : { **ومنهم من ينتظر** } أي : من ينتظر الحرب والجهاد فيُبْلي في الله بلاء حسنا حتى يوفى بنذره ، والمؤمنون الصادقون ينتظرون أجلهم على ما هم عليه، وفي قوله : { **ينتظر** } دلالة على شوق نفسه ، وصدق رغبته في الشهادة والوفاء ، والنفوس الصادقة تتوق إلى أعمال البر ، وتنهض إلى الخير بهمة وثابة ، وعزم أكيد ، وكذلك كان طلحة وعثمان ، فقد ذكر المفسرون أنهم ممن ينتظر. هذا هو ظاهر سياق الآية ، أي أن من قضى نحبه هو من مات شهيدا كأنس ومصعب ، ومن ينتظر هو من ينتظر الشهادة كطلحة وعثمان وأمثالهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده[٢].

---

[١] - ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٣/٥٣٢ طـ دار الريان للتراث ، ويراجع/ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٧/٤٧٧ طـ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

[٢] - من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب صـ١٧٧

وقد ثبتت أخبار تفيد أن من قضى نحبه هو طلحة، وكان حيا بعد نزول الآية الكريمة، قال طلحة: إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاهل: سل عمن قضى نحبه من هو؟ وكانوا لا يجترئون على مسألته، يوقرونه ويهابونه، فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: "أين السائل عمن قضى نحبه" قال الأعرابي: أنا يا رسول الله . قال: " هذا ممن قضى نحبه"[1].

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على النبي ﷺ فقال : " **يا طلحة أنت ممن قضى نحبه** " ، وعن معاوية قال : " سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **طلحة ممن قضى نحبه**"[2].

وقد روي أن عليا كرم الله تعالى وجهه سئل عن طلحة فقال: ذلك امرؤ نزل فيه آية من كتاب الله: {**فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر** }[3].

ولا يغيب عن البال كذلك أن أُحدا إذا ذكرت أمام أبي بكر ﷺكان يقول: "ذلك يوم كله لطلحة" وهو الذي جاهد جهاد الأحد عشر أنصاريا وحده،

---

[1] - أخرجه الترمذي ، كتاب : التفسير ، باب (٣٤) ٣٥/٥ حديث رقم [٣٢٠٣] وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يونس بن بكير

[2] - أخرجه الترمذي وغيره

[3] - زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ١٩٢/٦ ، طـ دار الفكر ، وروح المعاني للألوسي ١٧١/٢١ طـ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان

وهو يذب عن رسول الله ﷺ[1]، فقد روي أن طلحة ﷺ ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، حتى أصيبت يده ، فقال عليه الصلاة والسلام: " أوجب طلحة"[2] أي أوجب الجنة لنفسه، أو أوجب أجر المجاهدين .

قال الشهاب الخفاجي – رحمه الله [١٦٩١هـ] : "**أوجب طلحة** " أي استحق الجنة استحقاقا كالواجب على الله بمقتضى وعده وفضله ، وأصله : أوجب الجنة لنفسه على الله ، وفي النهاية يقول : أوجب الرجلُ - برفع الرجل – إذا فعل فعلا وجبت له به الجنة[3].

وفي ضوء هذه الأخبار يذكر بعض المفسرين أن المراد بمن قضى نحبه هو ظاهر معناه الحقيقي، أي لا تجوُّز فيه ، أي: وفى نذره، والنذر:هو الثبات والبلاء في الجهاد مع رسول الله ﷺ، {**ومنهم من ينتظر** } أي : ينتظر يوم جهاد وحرب ، حتى يثبت مع رسول الله ﷺ ثبات الصادقين المخلصين ، وإذا كان المراد بالنذر هو لزوم الطاعات – بما في ذلك الجهاد – يكون المراد بـ

---

[1] - تهذيب التهذيب لابن حجر ١٧/٣ ، ويراجع : المنهج التربوي للسيرة النبوية . التربية الجهادية . لمنير محمد الغضبان ٢٥٣/٢ -٢٥٤ طـ مكتبة المنار- الزرقاء ، الأردن الطبعة الأولى [١٤١١هـ - ١٩٩١م].

[2] - ذكره الواحدي في أسباب النزول صـ٢٦٦ طـ مكتبة المتنبي – القاهرة

[3] - ينظر : حاشية الشهاب ٤٧٨/٧

{ **من قضى نحبه** } أي بلغ في مراتب الخير ما يتمنى ، {ومنهم من ينتظر } أي : يسعى ليبلغ ما يريد، ويكون معنى الآية الكريمة : من المؤمنين رجال صدقت عزائمهم، فيما عاهدوا الله عليه من الثبات على البر والخير، والصدق في الجهاد، وملاقاة الأعداء، فمنهم من وفى بعهده فثبت في الجهاد، وارتقى في مراشد البر، ومنهم من يسلك طريق الرشاد ليبلغ ما يريد[1].

هذا، وفي الآية الكريمة ضرب من البديع يسميه أهل البلاغة: "التقسيم " فالذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه قسمان : منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر ، وليس هناك فريق ثالث ، اقرأ الآية الكريمة كاملة : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾ وانظر إلى وجازة هذا التقسيم وحسنه ، وكيف توزعت فيه هذه الجماعة إلى قسمين يتباعدان تباعد الوجود والعدم . فريق منهم تـوارى من مسرح الأحداث ، وفريق باق ينتظر ، ولا تهمل دلالة صيغة المضارع التي صورت لك الفريق الثاني كأنه يقف على أهبة الاستعداد آخذا بسلاحه وعتاده،

---

١ - يراجع في ذلك : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٣٧٨/٤ طـ دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، وروح المعاني ١٧١/٢١ .

أو قل : فريق منهم بلغ في مراشد الخير ما بلغ ، وفريق آخر يسعى ليصل ، وهذا الفن من البديع له مواقع تعجب وتروق[1].

وتبقى هذه الآية الكريمة أبد الدهر تصف الرجال من المؤمنين الصادقين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومضى إلى ربه، ومنهم من ينتظر ملتزما بعهده متمسكا بصدقه ماضيا في الجهاد في سبيل الله، وإلى هذه أشار الله تعالى بقوله : { **وما بدلوا تبديلا** } فالمصدر جاء ليفيد العموم، أي: لم يبدلوا شيئا من التبديل، فلم يحرفوا عهدهم عند اشتداد الكرب ، ولم يُدخلوا عليه شيئا يُحدث فيه أي تغيير ، وإنما حفظوه بصورته الملزمة لهم بالثبات والصبر والبلاء حتى الموت . نعم إنه الالتزام الكامل بالعهد والاستقامة الصادقة في منهج الله تبارك وتعالى إلى أن يلتحقوا بالصادقين فائزين ظافرين .

---

[1] - من أسرار التعبير القرآني ، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب صـ١٧٩ ، ويراجع : روح المعاني مصدر سابق .

المطلب السادس

المعلم السادس

الرجولية والثبات على العقيدة الصحيحة

معلوم أن المواقف الصعبة هي التي تميز الغث من السمين من الناس ، وأن الإيمان الذي لا تزعزعه الشدائد إنما تظهر نفحاته بجلاء حين يمتحن المرء في دينه أو يختبر في عقيدته ، فإن قوي إيمانه وثبت يقينه فقد أقام الحجة على أنه من الرجال، لأن إيمانه كامل متغلغل في أعماق قلبه يغمر كيانه كله .

وإنا لنجد في كتاب الله العزيز ثلاث آيات تجسد لنا هذا الإيمان الكامل . إنها تصف فريقا من الناس استضعفوا فعذبوا ليكفروا بالله تعالى ، ويرجعوا عن دينهم وعقيدتهم ، فزادهم إيمانا وضحوا بأرواحهم في سبيل الله ، وأثنى الله تعالى عليهم ، وذكرهم بلفظ "الرجال" تشريفا لهم وإعلاء لشأنهم .

الآية الأولى : جاءت بأبلغ أسلوب يستنهض همم الجماعة المسلمة ، ويحضهم ويحرضهم على القتال في سبيل الله من أجل إخوانهم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين كانوا يقاسون ما يقاسون على أيدي المشركين غير قادرين على الهجرة على دار الإسلام والفرار بدينهم وعقيدتهم ، وهم يتطلعون إلى الخلاص، ويدعون الله تعالى أن يجعل لهم مخرجا من دار الظلم والعدوان ..... وفي هذا يقول ربنا جل وعلا : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[1].

فالاستفهام في الآية الكريمة : لإنكار واستقباح التخلف عن الجهاد مـع تـوفر دواعيه .

وقد استدعاه باعثان قويان :

الأول : الدفاع عن الإسلام .

الثاني: تخليص المستضعفين من المسلمين المستذلين بمكة. الذين يتعرضون لأنواع العذاب والنكال ، وقد كان رسول الإنسانية الأعظم صلوات الله وسلامه عليه يدعو لهم قائلا : "اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين ".

وكلا الباعثين جدير بأن يحفز المؤمنين حفزا إلى القتال . وكلاهما جهـاد في سبيل الله .... ولكنه أفرد المستضعفين استثارة للحمية والأنفة

للحمية والأنفة والغيرة ، لما لها – في نفوس العرب – من مكان مكين إذ المعنى : كيف تقعدون عن القتال في سبيل الله ، واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ؟ هؤلاء الذين ترتسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم ،

---

[1] - سورة النساء ٤ : آية ٧٥ .

وكرامة المؤمن ، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق . هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة ، لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم ، والفتنة في دينهم . والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والنفس ؛ لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني الذي تتبعه كرامة النفس والعرض ، وحق المال والأرض![1] .

ولقد راقني ما ذكره العلامة أبو السعود في تفسيره حيث قال : "وإنما ذكر الولدان معهم – أي : مع المستضعفين من الرجال والنساء – تكميلا للاستعطاف، واستجلاب المرحمة ، وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان ؛ لإرغام آبائهم وأمهاتهم ، وإيذانا بإجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع إلى الله تعالى ، كل ذلك للمبالغة في الحث على القتال "[2] .

وأرى – والله أعلم – أن الله تعالى نص على هذا الفريق من الرجال المستضعفين، ووصفهم بالرجولية لثباتهم على الإيمان، وتضحيتهم بأرواحهم في سبيل الله تعالى. إنها رجولية الإيمان الحقيقي والعقيدة الصحيحة التي جعلتهم أقوياء بربهم، وإن كانوا ضعفاء من حيث الظاهر، فليس وصفهم بالاستضعاف

---

[1] – يراجع : تفسير الوسيط للقرآن الكريم . تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ٨٥٠/١ طـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

[2] – ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٥٤٩/١ طـ دار الفكر للطباعة

تنقيصا من قدرهم أو ذما لهم . لا ، بل مدحا فيهم؛ لأنهم مع قلة عددهم وعُددهم – استضعافهم – ثابتون على الإيمان لا تؤثر فيهم الرياح العاتية أو الأعاصير القاتلة .

وأما الآية الثانية فقد جاءت في معرض الحديث عن أولئك القاعدين في دار الكفر بدون هجرة إلى دار الإسلام ، وهم قادرون لو أرادوا واعتزموا التضحية أن يهاجروا . وكانت الهجرة قبل فتح مكة واجبة فرضا على المسلمين من أهل مكة لنصرة النبي ﷺ ومواساته بالنفس ، وليكون لهم في تجمعهم في مكان واحد كيان وقوة ، ولذلك أنحى الله باللائمة والتوبيخ لمن استطاع الهجرة ولم يهاجر ، ولم يعذر إلا المستضعفين الذين ليست لهم قدرة عليها، فقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾[1].

والمعنى : إن الذين قبضت أرواحهم الملائكة وهم في دار الشرك حالة كونهم ظالمي أنفسهم برضاهم الإقامة في دار الشرك، وإيثارهم الدنيا وعرضها على نصرة الحق والهجرة مع رسول الله ﷺ ، وبقبولهم الظلم والتضييق عليهم في عدم

[1] - سورة النساء ٤ : آية ٩٧ – ٩٨

إقامتهم الشعائر الدينية، هؤلاء تقول لهم الملائكة توبيخا وتقريعا حين تقبض أرواحهم: في أي شيء كنتم من أمر دينكم ؟! هذا الدين الذي يأمر المسلم أن يكون – دائما – مع الجماعة – يعيش مرفوع الرأس في عزة وكرامة، ولا يرضى له أن يكون خفيض الجناح في خسة ومهانة.

فقالوا معتذرين بغير العذر الحقيقي عن هذا السؤال الذي يفيض بالتبكيت والإيلام: كنا مستضعفين ومستذلين في الأرض، فلم نقدر على إقامة الدين وواجباته . وهذه حجة واهية لم تقبلها الملائكة ولم تعبأ بها، بل ردوا عليهم معذرتهم قائلين : أليس ارض الله واسعة فتهاجروا فيها من دار الكفر كما هاجر إخوانكم فارين بدينهم ؟ نعم هي واسعة ولكنكم رضيتم بالذل والهوان وآثرتم الدنيا على نصرة الدين.وفي هذا إشارة إلى أنه يجب على المسلم أن يفر بدينه إلى حيث يمكنه أن يقيم حدوده وواجباته حسبما أمر الله تعالى[1].

ومما يدل على هذا المعنى ويوضحه ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : " من فر بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة ، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام"[2].

وقد استثنى الله تعالى من أهل الوعيد ثلاثة أصناف من الناس فقال جل شأنه : " إلا المستضعفين .... سبيلا " أي : إلا العجزة المقهورون تحت أيدي الكفار

---

[1] - يراجع في ذلك : الكشاف للزمخشري ٥٥٥/١ بتصرف

[2] - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٤٧/٥.

من الرجال الذين لا يقدرون فعلا على المقاومة ، ولا على دفع الظلم والفساد ، وكذلك النساء والصغار ممن لا يجدون وسيلة تخلصهم مما هم فيه من القهر والذل ، ولا يعرفون طريقا يستطيعون سلوكه للنجاة مما يلاقونه في دار الكفر من ذل وهوان . وكلمة " المستضعفين " يأتي بعدها " من الرجال " والمفروض في الرجل القوة والشجاعة ، وهذا يلفتنا إلى الظرف الذي جعل الرجل مستضعفا ومن يأتي بعد أشد ضعفا .

ولعل تقديم الرجال لأن تكاليف الرجولة تجعل الإحساس بالحرج شديدا . ومن ثم فهم أحرى بعفو ربهم .

ويبقى باب الهجرة مفتوحا أمام هؤلاء المستضعفين فإن عاشوا بعدها عاشوا كرماء .. وإن ماتوا فمن يمت " **فقد وقع أجره على الله** ".

وأما الآية الثالثة : ففيها يكشف المولى جل وعلا عن جانب من جوانب حكمته في منع القتال بين المؤمنين وبين مشركي مكة، وذلك حفاظا على من كان في مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات فقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1].

---

[1] - سورة الفتح ٤٨ : آية ٢٥

قال الحافظ ابن كثير : " قال عبد الله بن عمرو: سمعت جنيد بن سبيع يقول : قاتلت رسول الله (ﷺ) أول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما ، وفينا نزلت هذه الآية سبعة رجال وامرأتين" .

وروي من طريق آخر عن أبي جعفر حبيب بن سباع[1].

هؤلاء الرجال السبعة والمرأتين كانوا يكتمون إيمانهم خوفا على أنفسهم من مشركي مكة ، ولولا هؤلاء الرجال العريقون في الإيمان ، فكانوا لذلك أهلا للوصف بالرجولية ، وكذا نساء مؤمنات ، حبس الكل عن الهجرة العذر ؛ لأن الكفار لكثرتهم استضعفوهم فمنعوهم الهجرة ... لولا ذلك لسلط الله تعالى المؤمنين على المشركين فقتلوهم واستأصلوهم ، ولكنه سبحانه وتعالى كف أيدي المؤمنين عنهم خشية أن يهلكوا أناسا مؤمنين يقيمون بين ظهراني المشركين وهم غير عالمين بهم وبأماكنهم فيصيبهم بإهلاكهم مكروه ومشقة ، فتكون معرة وإثم على المسلمين ، كأن يقول المشركون : إن المسلمين قد فعلوا بأهل دينهم من الإهلاك مثل ما فعلوا بنا ، وكذلك ما يصيب المسلمين وينالهم من الضيق والمشقة من أن يقتلوا إخوانهم في الإسلام وهم عدتهم على أعدائهم ، فضلا عن الرحمة التي تسود وتعم المسلمين فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى[2].

---

[1] - تفسير القرآن العظيم ١٩٣/٤ .

[2] - يراجع في ذلك : نظم الدرر ٢٠٩/٧ بتصرف ، وتفسير المراغي ٢٢٧/٩ – ٢٢٨ .

وفي هذا دليل على مراعاة حرمة المسلم سواء أكان رجلا أم امرأة ، فحرمتهما لا بد وأن تصان .

المطلب السابع

المعلم السابع

الرجولة وتحمل الشهادة وأداؤها

من نعم الله تعالى على الإنسان :المال .. ذلك الذي يغرى النفوس ، ويسبي العيون ، ويسيل اللعاب ..من هنا يدعو الإسلام إلى حفظ الأموال والعناية بها ، وذلك لأن المال عصب الحياة ، أعطاه الله تعالى لمن يشاء من عباده ، لذلك ففي دور إثبات الحقوق يرشدنا الحق سبحانه وتعالى لضبط الوقائع وحفظ الأموال إلى الشهادة على المداينة، فبين لنا أن نصاب الشهادة رجلان أو رجل وامرأتان فأمرنا إلى ذلك على سبيل الندب فقال جل شأنه: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ ﴾[1] أى:اطلبوا على المكاتبات المالية بينكم رجلين بالغين من رجالكم المسلمين الأحرار كما دلت عليه الإضافة في رجالكم ليحملا الشهادة على ما جرى بينكم من المداينة. فالبلوغ مستفاد من لفظ رجال والإسلام من الإضافة إلى كاف الخطاب، والحرية مستفادة أيضا من لفظ رجال، لأنه ظاهر في الكاملين[2].

---

[1] - سورة البقرة ٢ : آية ٢٨٢

[2] - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للجمل ٢٣٢/١

وفي قوله تعالى : { **واستشهدوا شهيدين** } إشارة إلى تخير الشاهدين ، والتماس الصفات الطيبة فيهما ، فليس كل من حضر مجلس العقد كان صالحا للشهادة قادرا على تحملها ، بل يجب أن يكون ذلك بعد طلب وبحث . هكذا الرجال!!

قال العلامة الألوسي رحمه الله [١٢٧٠هـ] : " وفي اختيار صيغة المبالغة — شهيدين — إيماء إلى طلب من تكررت منه الشهادة ، فهو عالم بموقعها مقتدر على أدائها،وكأن فيه رمزا إلى العدالة،لأنه لا يتكرر ذلك من الشخص عند الحكام إلا وهو مقبول عندهم ، ولعله لم يقل رجلين لذلك"[١].

ثم بين سبحانه وتعالى الحكم إذا لم يتيسر شاهدان من الرجال فقال جل وعلا: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ أي فإن لم تجدوا رجلين على صفة الرجولية كلاهما فأشهدوا رجلا ومعه امرأتين تقومان مقام الرجل الأخر ممن يوثق بدينهم وعدالتهم من الشهداء من بين أهل الاستقامة والسلامة ، وجئ بهذا الوصف وهو { **ترضون من الشهداء** } لضعف شهادة النساء ، وقلة ثقة الناس بها"[٢].

فقوله تعالى : { **ممن ترضون من الشهداء** } أدق في الدلالة على صدق الشهادة من العدالة ؛ لأن الإنسان العدل قد يكون مرضيا في دينه وخلقه ولكنه

---

١ - ينظر : روح المعاني ٥٧/٣

٢ - نظم الدرر ٥٤٧/١ ، وتفسير المنار ١٠٣/٣ ، وتفسير المراغي ٤٣٤/١

قد يتأثر بالمشاهد المؤثرة فتخون ذاكراته في وقت الحاجة إليها ، أوقد يكون ممن يمنعه منصبه وجاهه ومقامه في الناس من الكذب إلا أنه قـد يرتكـب بعـض المعاصي ، فجاء سبحانه وتعالى بهذه الجملة الحكيمة لكي يقول للناس : اختاروا الشهداء من الذين يرتضى قولهم، ويقيمون الشهادة على وجهها الحق بـدون التأثير بأي نوع من المؤثرات[1]. وهكذا الرجال !!

وقد ذكر الله جل وعلا السبب في جعل شهادة المرأتين بشهادة الرجل ، أي اعتبار العدد في شهادة النساء : وهو التذكير صونا لحكم الشـهادة ، فجعـل المرأتين بدل رجل واحد في الشهادة خشية أن تنسى إحداهما فتذكر كل واحدة منهما الأخرى . إذ المرأة لقوة عاطفتها ، وشدة انفعالها بالحوادث ، قد تتوهم ما لم تر ، فكان من الحكمة أن يكون مع المرأة أخرى في الشهادة بحيث إنه إذا ضلت إحدى المرأتين عن الحقيقة التي شهدت عليها ذكرتها الأخـرى بهـذه الحقيقة وأعادتها إلى الصواب.

وبما أن العلة في الحقيقة هي التذكير، وكان في النساء النسيان،نزل النسيان منزلة العلة، أي نزل السبب منزلة المسبب[2].

بذا نرى أن الله تعالى بحكمته قد جعل الرجل في الشهادة باثنتين، لأن النسيان غالب على جنس النساء ، بينما التذكير غالب على جنس الرجال ، وتقريـر

---

[1] - يراجع في ذلك: التفسير الوسيط ٨٥١/١

[2] - الفتوحات الإلهية للجمل ٢٣٢/١

ذلك في القرآن الكريم للرجال من غير شك ، وإفصاح عما خصهم الله تعالى من خصائص يجب عليهم أن يقدروها ويشكروها[1].

وإذا كان الرجل المسلم الحر البالغ قد قرر له القرآن الكريم أن شهادته تعدل شهادة امرأتين ، فإن من الرجال من شهد له سيدنا رسول الله صلوات ربى وسلامه عليه بأن شهادته بشهادة رجلين ، إنه الصحابى الجليل خزيمة بن ثابت

---

[1] - قال الإمام أبو بكر المعروف بابن العربي [ت ٥٤٣هـ] رحمه الله : " فضل الله تعالى الذكر على الأنثى من ستة أوجه:

الأول : أنه جعل أصلها وجعلت فرعه؛ لأنها خلقت منه ، كما ذكر الله تعالى في كتابه .

الثاني : أنها خلقت من ضلعه العوجاء ، قال النبي ﷺ : "إن المرأة خلقت من ضلع أعوج ، فإذا ذهبت تقيمها كسرتها ، وإن استمتعت بها استمتعت بها على عوج ، وقال : وكسرها طلاقها " رواه أحمد في المسند ٨/٥ ومسلم حديث رقم [٦٥] من الرضاع .

الثالث : أنه نقص دينها .

الرابع : أنه نقص عقلها . وفي الحديث : " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم منكن " قلن : يا رسول الله وما نقصان ديننا وعقلنا ؟ قال : أي تمكث إحداكن الليالي لا تصوم ولا تصلي ، وشهادة إحداكن على نصف شهادة الرجل " رواه البخاري ومسلم .

الخامس : أنه نقص حقها في الميراث . قال تعالى : { **للذكر مثل حظ الأنثيين** }النساء ٤: آية ١١

السادس : أنها نقصت قوتها ، فلا تقاتل ولا يسهم لها ، وهذه كلها معان حكيمة .

فإن قيل : كيف نسب النقص إليهن وليس من فعلهن ؟ قلنا : هذا من عدل الله يحط ما شاء ويرفع ما شاء ، ويقضي ما أراد ، ويمدح ويلوم ، ولا يسال عما يفعل وهم يسألون ؛ وهذا لأنه خلق المخلوقات منازل ، ورتبها مراتب ، فبين ذلك لنا فعلمنا وآمنا به وسلمناه .

ينظر : أحكام القرآن ٣٣٥/١ – ٣٣٦ طـ دار الفكر.

الأنصاري ، فقد روى أبو داود والنسائي: " أن رسول الله ﷺ ابتاع فرسا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه ، فأسرع رسول الله ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي ، فطفق رجال يعترضون الأعرابي يساومونه في الفرس حتى زادوه على ثمنه، ولا يشعرون أن النبي صلى اله عليه وسلم ابتاعه، فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ فقال : إن كنت مبتاعا هذا الفرس وإلا بعته ؟ فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال : " أو ليس قد ابتعته منك؟" قال الأعرابي : لا والله ما بعتكه، فقال النبي ﷺ: " بلى قد ابتعته منك" فقال الأعرابي : هلم شهيدا يشهد أني قد بعتك ، فمن جاء من المسلمين يقول : إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا الحق ، حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال : أن أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال : " بم تشهد؟ " قال : بتصديقك يا رسول الله ، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين[1].

وفي رواية " ... فقال النبي ﷺ: " بم تشهد ولم تكن حاضرا ؟ " قال : بتصديقك وأنك لا تقول إلا حقا . فقال النبي ﷺ: " من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه" .

ولعل سائل يسأل : ما الحكمة في جعل شهادة خزيمة بشهادتين دون غيره ممن هو أفضل منه ؟ والجواب : أن هذا من خصائصه ،ولو شهد عند رسول الله ﷺ

---

[1] - أبو داود في سننه . كتاب : القضاء . باب : إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز له أن يحكم به ٣٠٨/٣ ، والنسائي في سننه ٣٠١/٧ ، والبيهقي ٦٦/٧

أو عند غيره لكان بمترلة شاهدين اثنين ، وهذا التخصيص إنما كان لمخصص اقتضاه ، وهو مبادرته دون من حضر من الصحابة إلى الشهادة لرسول الله ﷺ أنه قد بايع الأعرابي ، وكان قد فرض على من كل من سمع هذه القصة أن يشهد أن رسول الله ﷺ قد بايع الأعرابي ، وذلك من لوازم الإيمان والشهادة بتصديقه ﷺ، وهذا مستقر عند كل مسلم ، ولكن خزيمة تفطن لدخول هذه القضية المعينة تحت عموم الشهادة لصدقه في كل ما يخبر به ، وفلا فرق بين ما يخبر به عن الله وبين ما يخبر به عن غيره في صدقه في هذا وهذا ، ولا يتم الإيمان إلا بتصديقه في هذا وهذا ؛ فلما تفطن خزيمة دون من حضر لذلك استحق أن تجعل شهادته بشهادتين[1]. وهكذا تكون مواقف الرجال .

ومن عجيب قدر الله تعالى أن الصحابي زيد بن ثابت كاتب الوحي لرسول الله ﷺ عند جمع القرآن في عهد أبي الصديق ﷺكان لا يعتمد في كتابته على الحفظ وحده فحسب ، بل إلى ذلك ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ ويشهد على ذلك شاهدان ، ولذلك قال في الحديث الذي رواه البخاري : أنه لم يجد آخر سورة براءة إلا مع خزيمة ، أي لم يجدها مكتوبة إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين ، مع أن زيدا ﷺكان يحفظها ،

---

[1] - ينظر : أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية . تحقيق : هاني الحاج ١٣٦/٢ . طـ دار التوفيقية للطباعة

وكان كثير من الصحابة يحفظونها ، ولكنه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة ، زيادة في التوثق ، وليس ثمة ثقة أفضل ممن شهد له رسول الله ﷺ بذلك .

المطلب الثامن

المعلم الثامن

الرجولة والقيام بحق القوامة وحسن التوجيه

من معالم الرجولة التي سجلها القرآن الكريم ونص عليها حق القوامة وحسن التوجيه لبيوتهم وذويهم ، وهذا يعد من تنظيم مؤسسة الأسرة، وضبط الأمور فيها ، وتوزيع الاختصاصات ، وتحديد الواجبات، لتنشئ أثمن عناصر الكون .. وهو العنصر الإنساني ، وتحافظ عليه من زعازع الأهواء ، وتقيه عناصر التهديد والتدمير جهد المستطاع .

قال جل شأنه : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾[1].

وفي هذا ثناء على الرجال ، وتفضيل لهم، وتنبيه على جلال تبعاتهم ، إذ المعنى – والله أعلم بمراده – أن شأن الرجال هو القيام على النساء بالأمر والنهي ونحو ذلك ، والمراد بهم هنا – كما قال أبو حيان – من فيهم صرامة وحزم لا مطلق من فيهم لحية ، فكم من ذي لحية لا يكون له نفع ولا ضر ولا حزم ، ولذلك يقال : رجل بين الرجولية والرجولة ، ولذلك ادعى بعض المفسرين أن في الكلام حذفا تقديره : الرجال قوامون على النساء إن كانوا رجالا ، وأنشد:

---

[1] – سورة النساء ٤: آية ٣٤

أكـــل امـــرئ تحســـبن امـــرءا ونـــار توقـــد بـــالليل نـــارا[1]

وأورد المولى جلت قدرته العبارة الكريمة : **{ قوامون على النساء }** بصيغة المبالغة وذلك للإشارة إلى كامل الرئاسة والولاية عليهن ، كما يقوم الولاة على الرعايا فلهم حق الأمر والنهي والتدبير والتأديب مع الحكمة والعدل، وعلـيهم كامل المسئولية في الحفظ والرعاية والشفقة والحماية والصيانة ، وهذه القوامـة دائمة ومستمرة لما أفادته الجملة الاسمية: **{ الرجال قوامون على النساء}** .

وتستطرد الآية الكريمة– بعد هذه العبارة – سببين لهذه القوامة:

أولهما : وهبي وقد بينه الحق سبحانه وتعالى بقوله :**{ بما فضل الله بعضهم على بعض }** أي : أن حكمة الله تعالى اقتضت أن يكون الرجال قوامين على النساء بسبب ما فضل الله به الرجال على النساء من قوة الجسم وزيـادة في العلـم ، وقدرة على تحمل أعباء الحياة وتكاليفها وما يستتبع ذلك من دفاع عنهن إذا ما تعرضن لسوء.

قال الفخر الرازي– **رحمه الله** - : " واعلم أن فضل الرجال علـى النسـاء حاصل من وجوه كثيرة بعضها صفات حقيقية وبعضها أحكام شـرعية. أمـا الصفات الحقيقية فاعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها

---

[1] - ينظر : البحر المحيط ٢٣٩/٣

إلى أمرين: إلى العلم، وإلى القدرة، ولا شك أن عقول الرجال وعلومهم أكثر ، ولا شك أن قدرتهم على الأعمال الشاقة أكمل ، فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل والحزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي، وأن منهم الأنبياء والعلماء وفيهم الأمانة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص بالاتفاق، وفي الأنكحة عند الشافعي ﷺ، وزيادة النصيب في الميراث، وفي تحمل الدية في القتل الخطأ وفي القسامة، والولاية في النكاح والطلاق والرجعة، وعدد الأزواج وإليهم الانتساب،فكل ذلك يدل على فضل الرجال على النساء[1].

والكامل في نفسه له حق الولاية على الناقص .

والمراد بالتفضيل في هذه العبارة الكريمة: **{بما فضل الله بعضهم على بعض }** تفضيل الجنس على الجنس لا تفضيل الآحاد على الآحاد فقد يوجد من النساء من هي أقوى من بعض الرجال عقلا ومعرفة ، بل قوة جسم في بعض الأحيان. وقال سبحانه: **{بما فضل الله بعضهم على بعض }** ولم يقل مثلا: "بما فضلهم الله عليهم ..." للإشعار بأن الرجال من النساء والنساء من الرجال، فاللحمة الواصلة واحدة، كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى:**{ بعضكم من بعض }**

---

[1] - ينظر : التفسير الكبير ١٩٦/٩ -١٩٧

وللإشارة إلى أن هذا التفضيل هو لصالح الفريقين ، فعلى كل فريق منهم أن يتفرغ لأداء المهمة التي كلفه الله بها بإخلاص وطاعة حتى يسعد الفريقان .

أما **السبب الثاني** : فهو كسبي ، وقد بينه الحق جل وعلا بقوله تعالى : { **وبما أنفقوا من أموالهم** ... } وذلك لأن تكليف الرجل بالإنفاق وجعله حقا للمرأة عليه ، يجعله مكلفا أيضا أن يرعاها ويصونها إذ أن ذلك التكليف استوجب أن يكون عمل المرأة داخل المترل ؛ لأن الشريعة الإسلامية جعلت البيت مكان المرأة الأساس ، وعمل الرجل خارجه ، فهي عاكفة على شئون الأولاد وإعداد البيت ليكون جنة الحياة ، وهو مكلف على رعاية الجنة وحمايتها وصيانتها .

وفيما عدا ذلك يتساوى الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ، وهذا من محاسن الإسلام .

وقريب من هذا قوله عز وجل: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ وهذه العبارة جليلة جدا جمعت على إيجازها ما لا يؤدى بالتفصيل إلا في سفر كبير، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجال في جميع الحقوق إلا أمرا واحدا عبر الحق سبحانه عنه بقوله:

{**وللرجال عليهن درجة**} أي: أن للرجال زيادة في الحق على النساء؛ لأنهم القوام والحراس وهم القائمون بواجب الرعاية والإنفاق، وذلك جمع رائع بين

التشريف والتكليف فهذه الدرجة التي للرجال، وهذه القوامة التي شرفهم الله بها تستلزم تكليفا،وهو حسن الرعاية وإدارة البيت والإشراف على شئون الأسرة والإرشاد والمراقبة ولطف الإنفاق، وذلك كله غرم يتناسب مع قدرات الرجل على تحمل المسئوليات وأعباء الحياة ، والعظائم كفؤها العظماء.

والخلاصة : أن هذه القوامية مما تقتضيه طبيعة الزوجين في الحياة الزوجية حتى إنها لا تختص بعالم الإنسان فحسب ، فإننا هذه القوامية والرئاسة في عالم الحيوانات حتى الحشرات أيضا ، فقد نشاهد أنها سائدة في حياة الإبل والخيل والبقر والغنم ، وفي حياة الطيور ، وحتى في حياة النمل مما يثبت أنها من ضروريات الحياة ومصلحتها في هذا الكون .

ولهذا فإني أقول بكل جرأة : إنه لا يوجد أي ظلم أو نقص في حق المرأة في هذه القوامية — كما يزعمه بعض أعداء الإسلام وأدعياؤه بين الحين والآخر — وإنما هي شئ طبيعي تكون بقدرة الله وحكمته بين الذكور والإناث إنسانا كان أو حيوانا ، إلا أن بعض الذكور من الآدميين ينسلخ عن رجوليته ويتأخر لتتقدم النساء.

المطلب التاسع

المعلم التاسع

الرجولة نعمة من نعم الله تعالى

معلوم أن في القصص القرآني الكريم أمثال تقدم لنا نماذج حية للعظة والاعتبار بأسلوب عجيب مؤثر يسترق القلوب ، وعبارات موجزة حكيمة فيها من الإعجاز ما يملأ القلوب إعجابا، وروعة ، وما ينير للعقل طريقه . ومن بين هذه النماذج قصة قرآنية يأمر الله فيها نبيه محمدا ﷺ بأن بضرب لأمته مثل رجلين : رجلا تَسَمَّى بأسماء الرجال وتزيّا بزيهم ، وراح يرفع شعارهم — شعار الرجولية الكاملة — وهو في حقيقة أمره لم يشبههم إلا في الذكورية ، وهو بذلك في مقابلة الإناث ، ليس كل الإناث فقد وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين ﵂ بأنها كانت رجلة الرأي ، إنما من اقتصر تفكرهن على الحياة الزائلة، ورجلا آخر عرف الرجولية في أسمى معانيها ، وقدر لها قدرها فراح يأخذ بيد أخيه إلى طريق الأمان ، ويقف منه موقف الناصح الأمين ينصحه نصيحة الرجال ، يحاوره بحواره الهادئ الراشد الهادي ، يذكره بأنعم الله تعالى عليه التي من بينها نعمة الرجولية ، ويقيم له الدليل من نفسه ، يدعوه للتدبر والتفكر الصحيح ، وفي ذلك يقول ربنا جلت قدرته :

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾[1] .

في هذه الآيات تجيء قصة الرجلين والجنتين ، تُضرب مثلا للقيم الزائلة والقيم الباقية ، وترسم نموذجين واضحين لبيان حال فريقين من الناس تناقضت

---

[1] - سورة الكهف ١٨ : آية ٣٢ – ٤٤

توجّهاتهما الفكرية ، وتباينت نظرتهما للكون والحياة ، واختلفت مقاييسهما للأمور، فصاحب الجنتين نموذج للرجل الثري ، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة ، ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى .... وصاحبه نموذج للرجل الكامل المؤمن المعتز بإيمانه ورجوليته الحقة الذاكر لربه، يرى النعمة دليلا على المنعم ، موجبة لحمده وذكره ، لا لجحوده وكفره .

وتبدأ القصة الكريمة بمشهد الجنتين في ازدهار وفخامة :

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ فهما جنتان مثمرتان من الكروم، محفوفتان بسياج من النخيل، تتوسطهما الزروع، ويتفجر بينهما نهر .. تأمل هذا المنظر الجميل الرائع ؛ إنها مزرعة مباركة أعطت أفضل غلة وأوفاها ، وقدمت أرضها لصاحبها أقصى طاقة من بركاتها بفضل الله ، ولم تصب الزرع آفة ، ولا نقصان فيما تُغلّه من المحاصيل والثمار ، ثم إلى جانب هذا كان للرجل مال آخر يثمِّره وينميه كالأنعام وغيرها " وكان له ثمر " .

وفي قوله عز وجل : { جعلنا } تنبيه للعقل والنفس إلى أن الجاعل والخالق والواهب هو الله تعالى ، فالعاقل لا يغتر بحول نفسه ولا قوته .

وكذلك في التعبير بكلمة { تظلم } في معنى تنقص وتمنع لتقابل بين الجنتين وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر و لم يشكر ، وازدهى وتكبر[١].

هذا هو صاحب الجنتين، تمتلئ نفسه بهما ، ويزدهيه النظر إليهما ، فيحس بالزهو، وينتفش كالديك، ويختال كالطاووس، ويستبد به الغرور، ويركبه الطيش والنّزَق[٢]، ويتعالى على صاحبه الفقير : ﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ أي : قال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن الشاكر: أنا أكثر منك مالا ، وأعز منك عشيرة وحشما وأعوانا .

إنها صورة حية، وموقف من مواقف الفتنة يلقي بها هذا الكافر بين عيني المؤمن ..... إنه أكثر من صاحبه المؤمن مالا ، وأعز نفرا !

ولا سبب لهذا إلا لأنه كافر .. وصاحبه مؤمن ! ذلك هو منطق من أعمى الله أبصارهم وختم على قلوبهم ، وهذا شأن المطموسين المغرورين ، تزيدهم شهوات الدنيا وزينتها بطرا وفسادا في الأرض .

وما أصدق قول قتادة ﷺ:" تلك – والله – أمنية الفاجر : كثرة المال ، وعزة النفر "[٣].

---

١ – في ظلال القرآن ٢٢٧٠/٤

٢ – النزق : خفة في كل أمر وعجلة في جهل وحمق . والنزق : الخفة والطيش. لسان العرب "نزق" ٤٣٩٨/٦ .

٣ – ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨٣/٣ .

و لم يقف الضلال بهذا الضال عند هذا ، بل لقد أخذ بيد صاحبه ، يطوف به في جنتيه حتى يريه بعينيه هذا النعيم ، ويفاخره به ... ويمضي الرجل المؤمن معه في رحاب هذه الجنات العريضة ... وينتظر الكافر أن تتحرك في نفس صاحبه شهوة إلى هذه الجنات ، أو يبدو في عينيه إكبار وإعظام لها ولصاحبها فلا يرى شيئا من هذا كله ، يدخل على نفس صاحبه أو يقارب ما بينه وبينه قيد أنملة ...[1].

هنا يجيء الكافر إلى صاحبه من ناحية أخرى ، فيسمعه بأذنه ما رآه بعينه ، لعل الكلمة هنا تفعل ما لا تفعله الصورة ... واستمع إلى تصوير القرآن الكريم لهذا المشهد ، وهو يصف الرجل وقد دخل بصاحبه إحدى جنتيه:

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ[2] وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾.

هكذا يكيد هذا الضال لصاحبه المؤمن ، ويجيء إليه بما يظن أنه يملأ قلبه حسرة، وحسدا ... فيتحدث عن جنته هذا الحديث الذي يتيه فيه فخرا ، وزهوا بما

---

[1] – التفسير القرآني للقرآن ٦١٧/١٥ بتصرف

[2] – أفرد الجنة و لم يقل جنتيه للتنبيه على أنه ما له جنة غيرها ، فلا نصيب له في جنة الخلد في الآخرة التي وعد الله بها المؤمنين ، فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ، أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالأخرى ، أو لأن الدخول يكون عادة في واحدة ثم في الأخرى .
الكشاف للزمخشري ٧٢١/٢ ، وروح المعاني ٢٧٥/١٥

يملك بين يديه من ثراء طائل ، وجاه عظيم .. إنه ينظر إلى جنته كأنه يراها لأول مرة فيقول: ﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ وذلك اغترار منه لما رأى فيها من الزروع ، والثمار ، والأشجار ، والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفنى ، ولا تفرغ ، ولا تهلك ، ولا تتلف ؛ وذلك لقلة عقله ، وضعف يقينه بالله ، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخره، ثم زاد في الطغيان والبطر بقصر النظر على الحاضر فقال:﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ استلذاذا بما هو فيه وإخلادا إليه واعتمادا عليه .

ثم أكد هذا المغرور توهمه بجملة قسمية فقال : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ أي : والله لئن رددت إلى ربي على سبيل الفرض والتقدير لأجدن في الآخرة ما هو خير من جنتي في الدنيا[1]. وشبيهة بهذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾(٢)، وقوله عز وجل : ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾(٣)

---

[1] - يراجع في ذلك : التفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٨٣ ، ونظم الدرر ٤/٤٦٨ ، والتفسير القرآني للقرآن ١٥/ ٦١٧ – ٦١٨ بتصرف

[2] - سورة مريم ١٩ : آية ٧٧

[3] - سورة فصلت ٤١ : آية ٥٠

والمتدبر لحال صاحب الجنتين يراه – أولا – قد زعم أن مدار التفاضل هو الثروة والعشيرة ، ويراه – ثانيا – قد بنى حياته على الغرور ، والبطر ، واعتقاد الخلود لزينة الحياة الدنيا ، ويراه – ثالثا – قد أنكر البعث ، والحساب، والثواب ، والعقاب ، ويراه – رابعا – قد توهم أن غناه في الدنيا سيكون معه مثله في الآخرة .

وهكذا يذهب الضلال بأهله إلى تلك المذاهب الممعنة في السفه والجهالة ، فيرون حقائق الأمور مقلوبة على وجوهها ، وهم في هذا الوضع المنكوس الذي أقاموا فيه رءوسهم مقام ..... وفي هذا يقول ربنا جل وعلا : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ [1].

إن هذه الصورة النفسية تتكرر في كل عصر، وهذا من جمود الفكر ، وضلال الاتجاه ، وفتنة الشبهات ، والرغبة الشيطانية في نعيم العاجلة ، وإن معظم عالم عصرنا نراه من حولنا منكبا على عبادة كل ما هو مادي وشيطاني على نحو قبيح مقزز، ولسان حال المغرورين المفتونين هو ما قاله المشركون الجاحدون كما حكى القرآن الكريم عنهم : ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [2].

وهنا يأخذ الموقف بين الرجلين وضعا آخر ... فيتكلم المؤمن ويستمع الكافر

---

[1] - سورة فاطر ٣٥ : آية ٨

[2] - سورة سبأ ٣٤ : آية ٣٥

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ[1] ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴾.

أي : قال له صاحبه المؤمن – وهو يراجعه الحديث ويكلمه – : يا هذا أكفرت بالله الذي خلقك بقدرته من تراب ، أي خلق أصلك من تراب وهو آدم عليه السلام، وهذا إنكار ، وتعظيم لما وقع فيه هذا المغرور من جحود ربه الذي خلقه، وفي توجيه الخطاب بصيغة الماضي هكذا "أكفرت" بدلا من صيغة الحاضر "أتكفر" إشارة إلى أن هذا المنكر الذي هو فيه ليس أمرا مستحدثا عنده بل هو داء قديم سكن في كيانه، واستقر في مَسرى الدم من عروقه ، ولا يغيره شيء[2]، وأتبع ذلك بقوله : { **ثم من نطفة ثم سواك رجلا**} أي : خلق أباك آدم من تراب ، ثم أوجدك أنت من مني عن طريق التناسل ، والمباشرة بين الذكر والأنثى، ثم سواك وعدلك في أكرم صورة ركبك بأن جعلك إنسانا

---

[1] – وجاء التعبير بلفظ "ثم" في الآية الكريمة للإشارة إلى أطوار خلق الإنسان التي فصلها الله تعالى في آيات أخرى منها قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾

سورة المؤمنون٢٣:الآيات١٣– ١٤.

[2] – التفسير القرآني للقرآن ٦٢٠/١٥ بتصرف

كامل الرجولة . وكأن جعله "رجلا" هو غاية التكريم والتسوية ، وفي ذكر ذلك بلا شك تذكير بنعمة الرجولية ، وإعظام لشأن الرجل .

وإذا كانت الرجولية بهذه القيمة العظيمة التي رسمها القرآن الكريم ، فإننا ندركها في الرجل المؤمن المعتز بعقيدته وإيمانه بالله ، وذلك حين نراه وقد رسم لصاحبه المتبطر المغرور صورة أراه فيها وجوده كله منذ كان ترابا ، ثم كان نطفة ، ثم كان علقة ، فجنينا ، فوليدا ، فطفلا ، فرجلا مكتمل الرجولة كما هو الآن ، يختال تيها وعجبا . في هذه الصورة ينظر الرجل المؤمن إلى صاحبه ، فيكره أن يكون على سمت هذه الصورة التي شوهها الكفر ومسخها الإضلال ..... وفي سرعة خاطفة ينتزع نفسه من جنب صاحبه ، ويعزل شخصه عنه ، ثم يرسم لنفسه صورة ارتضاها ، واطمأن إليها تنم عن الرجولية الحقيقية الصادقة التي يريدها الله تعالى من عباده فيقول كما حكى القرآن الكريم عنه : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ فها هو ذا أنا ... أنا هو الذي تراه أيها الصاحب المغرور ، والذي عرفت موقفه من قبل.... ﴿ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ أما أنت فكما رأيت وعلمت !

فالضمير: **{هو}** معلوم أنه للغيبة ، وهو المقابل لضمير الحضور **{ أنا }** المدغم في حرف الاستدراك **{لكن}** .

وبهذين الضميرين : ضمير الحضور ، وضمير الغيبة ، تتحقق للرجل المؤمن الذي لا مال له ، ولا نفر ، ولا جنة عنده ، ولا ثمر .. صورتان : صورة حاضرة له بعد أن دخل جنة صاحبه ، مجددة للصورة الماضية التي كانت له قبل أن يدخل مع صاحبه جنته .. فهو لم يتغير منه شيء ، بعد تلك التجربة المثيرة التي أدخله فيها صاحبه ، وأراد بها أن يجره وراءه ، في طريقة القائم على الكفر والإضلال![1] .

وهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة ، فلا تبالي المال والنفر ، ولا تداري الغنى والبطر ، ولا تتلعثم في الحق ، ولا تجامل فيه الأصحاب . وهكذا يستشعر الرجل المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال ، وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة ، وأن فضل الله عظيم وهو يطمع في فضل الله ، من هنا نراه يعود إلى صاحبه ناصحا هاديا ، لا كما جاء إليه صاحبه مُضلا مُغويا .. فيقول له : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾.

---

[1] - التفسير القرآني للقرآن ١٥/٦٢١

وفي هذا العرض يكشف الرجل المؤمن لصاحبه الموقف الذي كان جديرا به أن يقفه ، حين دخل جنته ورأى فيها ما رأى من بديع صنع الله وروعة قدرته ، فيقول : ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ أي هذا ما شاءه الله وقدره لي ، ولو شاء غير هذا لكان .. فسبحانه له الحمد والشكران ... وليس لي من هذا الذي بين يدي شيء ، فأنا العاجز الضعيف الذي لا يملك من أمره شيئا ... { **لا قوة إلا بالله** } اعترافا بالعجز على نفسك والقوة لله ، وأن ما تيسر من عمارتها فبمعونته وإقداره .

ولهذا قال بعض السلف : من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل : { **ما شاء الله لا قوة إلا بالله** } عملا بهذه الآية الكريمة ، وبما روي من الحديث المرفوع الذي أخرجه الحافظ أبو يعلى عن أنس ﷺقال : قال رسول الله ﷺ: " ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، فيرى فيه آفة دون الموت"[1] .

وثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال له :" **ألا أدلك على كتر من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله**"[2] .

ثم إذ لم يكن من { **الكافر** } أن يقول هذا القول ، و لم تحدثه نفسه بشيء منه لوح له صاحبه المؤمن بهذا النذير الشديد ، وقرعه بتلك القارعة المزلزلة فقال له:

---

[1] - البيهقي في شعب الإيمان ٤/٩٠ وانظر: مجمع الزائد للهيثمي ١٤٠/١٠.

[2] - مسلم باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٢٠٧٦/٤

﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾.

والمعنى : إن ترن – أيها المغرور – أنا أقل منك في المال والولد فإني أرجو الله الذي لا يعجزه شيء أن يرزقني ما هو خير من جنتك في الدنيا والآخرة ، وأما جنتك فيرسل عليها عذابا مقدرا في حسابه فتصبح أرضا قاحلة ملساء لا شيء فيها ، أو يصبح ماؤها غائرا في الأرض فلن تتمكن من إدراكه بعد غوره ، ولن تستطيع رده بأي حيلة .

وعلينا أن ننظر بعين البصر والبصيرة إلى قوله تعالى : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ .. ثم تمعن النظر في هذا العطف بين الفعلين : {يؤتين} و { يرسل } حيث تتجلى من ذلك قدرة العلي القدير في التبديل والتغيير ، ففي الحال التي يرسل الله تعالى فيها رحمة من رحمته إلى هذا الفقير المعدم فيُلبسه ثوب الغنى، يرسل على هذا الغني المغرور ما يذهب بغناه...

وقد صدق حَدَس الرجل المؤمن ، وصح ما توقعه لصاحبه إذ ينقلنا السياق القرآني من مشهد النماء والازدهار إلى مشهد الدمار والبوار، ومن هيئة البطر والاستكبار إلى هيئة الندم والاستغفار ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ

عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾.

أهلكت أمواله وزرعه، وأخذ يقلب كفيه ظهرا لبطن؛ أسفا وحزنا على ماله الضائع، وجهده الذاهب ، وقد أصبحت الحدائق محطمة ومهمشة قد سقطت سقوفها على جدرانها فصارت خرابا ، وهو نادم على إشراكه بالله ويقول متحسرا : يا ليتني كنت مؤمنا بربي ، ولم أجحد نعمته عليّ ، لئلا أصل إلى هذا المصير المشؤوم ، ولم يكن له من يحميه من بطش الله وانتقامه ، فلم تنفعه العشيرة والأولاد حين اعتز وافتخر بهم ، وما استطاع بنفسه أن يدفع عنها عذاب الله .

وهكذا تجيء الخاتمة ، وتحق كلمة الله تعالى على القوم الظالمين ، ويسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها ، وموقف صاحبها يقلب كفيه أسفا وندما، وجلال الله يظلل الموقف حيث تتوارى قدرة الإنسان .

الفوائد والنتائج

من هذه القصة القرآنية نأخذ هذه النماذج التالية :

أولا : هذا مثل بليغ حكيم يقدم لنا نموذجا حيا للعظة والاعتبار، إذ بين الله تعالى فيه حال رجلين لبيان حال فريقين من الناس تناقضت توجهاتهما الفكرية ، وتباينت نظرتهما للكون والحياة ، واختلفت مقاييسهما للأمور، فأحدهما مغتر بدنياه ، مستنكف عن مجالسة المؤمنين ، لا يعرف قدر نفسه، ولا قدر النعمة ، أعماه غروره عن سنة الله تعالى في خلقه فخَيَّل له غروره ، ووهمه وحرصه أن النعمة لا يلحقها زوال ولا نقصان ، بل ارتفعت حرارة الغرور والعمى والحماقة لديه باعتقاده أن له امتيازا عند ربه إن قامت الساعة على سبيل فرضه هو ، وتقديره في معتقده الباطل ..... أما الرجل الآخر فهو نموذج حي وجميل للصحبة الصالحة التي لا تغرها المظاهر ، ولا تخدع ولا تنافق ، ولا تمالي على الباطل ، ولا تبخل بكلمة الحق ؛ إشفاقا ورغبة في الخير ، ورحمة بالصديق ، فلقد صبر هذا الرجل على صاحبه حتى قال ما عنده، وهذى بظنونه وهواجسه وأوهامه ، وكأنه يرى بعين الحال إبليس على لسان صاحب الجنتين وهو يلف خرطومه حول وجهه ، فامتلأ قلب الصديق الصالح أسى وإشفاقا لهول ما سمع من فخر كاذب ، وجحود فضل المنعم الوهاب .... ثم بدأ وصاياه لأخيه

بالشأن العظيم الذي هو فوق كل شأن .... بدأ بتصحيح عقيدته ، وبإقامة البرهان من خلق الإنسان على وجود الله ، ووحدانيته ، وتفرده بالألوهية والربوبية ، وتلك هي مواقف الرجال !

ثانيا : بينت لنا القصة أن فضل الله تعالى لا يُمنع عن الكافر لكفره ، فقد أتى الله صاحب الجنتين ثروة ومالا وولدا وأتباعا .

ثالثا : في هذه القصة حث لكل مؤمن على ألا يستكين أمام عزة الغني الكافر وعليه نصحه وإرشاده إلى الإيمان بالله ، والإقرار بوحدانيته ، وشكرا لنعمه وأفضاله عليه .

رابعا : شأن الغني دائما - إلا من رحم الله جل وعلا- المفاخرة بأمواله، والاغترار بالدنيا، والترفع على الآخرين بالثروة مع أنها مال زائل ، وعرض فان، فيمكن أن ينقلب صفر اليدين بين عشية أو ضحاها .

خامسا : في هذه القصة القرآنية ما يدل على أنه قد يكون الاغترار بالمال سببا لإنكار البعث والقيامة والحشر والنشر ؛ لأن الغني الظالم ، والمغرور يرى في المادة كل شيء ، وقد يستبد به الغرور لغفلة منه وضعف عقل ، فيزعم أن عطاء الدنيا له لاستحقاقه واستئهاله ، ويقول : إن كان بعث فكما أعطاني الله هذه النعم في الدنيا فسيعطيني أفضل منه في الآخرة لكرامتي عليه .

سادسا : إذا نزل البلاء فلا تستطيع فئة في الدنيا منعه ، أو رفعه.

سابعا : أن الولاية : أي السلطان ، والقدرة ، والملك ، والحكم الحق لله عــز وجل فلا يرد أمره إلى أحد ، والملك في كل وقت لله .

المطلب العاشر

المعلم العاشر

الرجولية ومشاهد يوم القيامة

لقد امتدح الله تبارك وتعالى طائفة من المؤمنين في مشهد من مشاهد يوم القيامة ، ووصفهم بالرجولية ، وأنزلهم منزلة عالية رفيعة لا ينالها إلا خاصة المؤمنين ، فقال عز وجل في شأنهم : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[1].

قبل الحديث عن الرجولية وسياقها في الآيات السابقة، تجدر الإشارة إلى بيان من هم أصحاب الأعراف؟ فأقول وبالله التوفيق: اختلفت أقوال العلماء في أصحاب الأعراف حتى أوصلها بعض المفسرين إلى اثني عشر قولا ، ومن بين

---

[1] -سورة الأعراف ٧ : الآيات ٤٦ – ٤٩ .

هؤلاء المفسرين الإمام فخر الدين الرازي فلقد حقق هذه المسألة وكتب حولها بحوثا ضافية ، وملخص ما ذكره واختاره :

" أن المختار في المراد من لفظ " **الأعراف**" أنه أعالي ذلك السور المضروب بين الجنة والنار .

وأما أصحاب الأعراف فقد كثرت الأقوال فيهم ، وهي محصورة في قولين :

أحدهما : أنهم الأشراف من أهل الطاعة وأهل الثواب .

الثاني : أنهم أقوام استوت حسناتهم وسيئاتهم ، ويكونون في الدرجة السافلة من أهل الثواب .

والتحقيق: أن أهل الأعراف أشراف أهل القيامة،فعند وقوف أهل القيامة في الموقف يجلس الله أهل الأعراف على الأعراف، وهي المواضع العالية الشريفة ، فإذا دخل أهل الجنة الجنة،وأهل النار النار، نقلهم إلى الدرجات العالية في الجنة، فهم أبدا لا يجلسون إلا في الدرجات العالية .

والسبب في تأخر دخولهم الجنة أن الله تعالى ميزهم عن أهل الجنة وأهل النار وأجلسهم على تلك الشرفات العالية والأمكنة المرتفعة ليشاهدوا أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار ، فيلحقهم السرور العظيم بمشاهدة تلك الأحوال .

وأما القول الثاني في أصحاب الأعراف فقد رده المحققون ، واحتجوا على فساده بأن كونهم من أصحاب الأعراف يدل على أنه تعالى ميزهم من جميع أهل

القيامة بان أجلسهم على الأماكن العالية المشرفة على أهل الجنة وأهل النـــار ، وذلك تشريف عظيم لهم . ومثل هذا التشريف لا يليق إلا بالأشـــراف ، ولا شك أن الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم درجتهم قاصرة ، فلا يليق بهم ذلك التشريف .

والمختار في المراد بقوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ أنهم كانوا يعرفون في الدنيا أهل الخير والإيمان والصلاح، وأهل الشر والكفر والفساد، وهم كانوا في الدنيا شهداء الله على أهل الإيمان والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية ، فهو يجلسهم على الأعراف ، وهي الأمكنة العالية الرفيعة ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل أحد بما يليق به، ويعرفون أن أهل الثواب وصلوا إلى الدرجات ، وأهل العقاب إلى الدركات "[١].

وبعد أرأيت كيف حكت لنا هذه الآيات موقفا من مواقف الثناء على الرجال يوم القيامة ، إنهم كانوا رجالا في الدنيا ، فاستحقوا هذه المترلة الرفيعة في الآخرة ، ووصفهم الله بالرجولية في موقف تشيب فيه الولدان ، وأي تكريم أو تشريف أعظم من هذا التكريم وذلك التشريف ؟!

ومما أريد أن أنبه أخي القارئ الكريم إليه أن لفظ " رجال " تكرر في الآيات التي نحن بصدد الحديث عنها مرتين ، وأن الأول منهما بحكم سياق الآيات غير

---

١ - ينظر التفسير الكبير ٨١/١٣ - ٨٦ بتصرف واختصار

الثاني ، فالأول يدل على الشرف والتعظيم ؛ لأن السياق يدل على سمو قدر أصحاب الأعراف ، ولاسيما بجعل منازلهم الأعراف ، وهي الأعالي والشرف كما تقدم .

وأما لفظ " رجال" فإنه يدل على الذم والتوبيخ والتبكيت ؛ إذ ينادي أصحاب الأعراف على هؤلاء الذين كانوا أصحاب وجاهة وغنى في الدنيا ... وكانوا يدعون الرجولية و لم يعقلوا معناها ، لأن هناك من الرجال من يعدل ألف رجل ، ومنهم أصحاب الأعراف ، وهناك على النقيض من هو في ميزان الرجال لا يعدل جناح بعوضة وهؤلاء هم "أشباه الرجال" وليسوا رجالا ، والناس كما قال سيد الخلق وحبيب الحق صلوات ربي وسلامه عليه : " الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة"[1].

وصدق من قال: الناس رجلان : رجل قام في الظلام ، ورجل نام في النور ، بمعنى أنه لم يعقل عن الله خطابه في أمره ونهيه ، فلم يعمل على إقامة فرائض الله حق القيام وينتهي عما نهي عنه من المحرمات ونحوها ، فوصفه بالرجولة تساهل في اللفظ[2].

---

١ - رواه البخاري في صحيحه كتاب" الرقاق" باب" رفع الأمانة ٣٤١/١١ برقم ٦٤٩٨ ومسلم كتاب "فضائل الصحابة" باب" الناس كإبل مائة ١٣٧٣/٤برقم٢٥٤٧

٢ - يراجع : بريق الأمل لخليل إبراهيم أمين . صـ ٥ دار المقتطف – الرياض .

هذا ، وهناك مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة يقول الله تعالى فيه : ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾ [1].

تلك آيات بينات تحكي لنا مشهدا من مشاهد التخاصم بين أهل النار حين معاينتهم ما حل بهم من العذاب .

قال الإمام الرازي – رحمه الله – ما ملخصه : " واعلم أنه تعالى لما وصف مسكن الطاغين ومأواهم ، حكى أحوالهم مع الذين كانوا أحباء لهم في الدنيا أولا ، ثم مع الذين كانوا أعداء لهم في الدنيا ثانيا .

أما حكاية أحوالهم مع من كانوا أحباء لهم في الدنيا فيصوره قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ

---

[1] - سورة ص ٣٨ : آيات ٥٥ – ٦١ .

أنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ ﴾.

وأما حكاية أحوالهم مع من كانوا أعداء لهم في الدنيا فيصوره قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ "[1].

يقول أبو الفداء ابن كثير – رحمه الله تعالى – :" هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفتقدون رجالا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة – وهم المؤمنون – في زعمهم ، قالوا : ما لنا لا نراهم معنا في النار ؟ قال مجاهد : هذا قول أبي جهل ، يقول : ما لي لا أرى بلالا ، وعمارا ، وصهيبا ، وفلانا ، وفلانا .

{ **أتخذناهم سخريا** } في الدار الدنيا { **أم زاغت عنهم الأبصار** } يسلون أنفسهم بالمحال يقولون : أو لعلهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم، فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات ، وهو قوله عز وجل :

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا

---

[1] – ينظر : التفسير الكبير ٣٥٣/٢٦ وما بعدها باختصار .

بِسِيمَٰهُمْۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ "[1].

ومما يبدو لنا في هذه الآيات الكريمة أنها تصور مشهدا من مشاهد الثناء على " الرجال" يوم القيامة تنطق به ألسنة أعدائهم ، والفضل والحق ما شهدت به الأعداء .

نلمس ذلك من قول الله عز وجل على لسانهم:{ما لنا لا نرى رجالا } ، وكان يمكن أن يقولوا : " ما لنا لا نرى أقواما" وقد جاء التعبير في القرآن الكريم بلفظ القوم مرادا به الذكور من بني آدم كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾[2].

---

[1] - سورة الأعراف ٧ : الآيات ٤٤- ٤٩ .

[2] - سورة الحجرات ٤٩ : آية ١١ .

لكن هؤلاء القوم لما نزلوا إلى مرتبة السخرية لم يستحقوا المدح أو التشريف فلم يوصفوا بالرجولية .

وفي آية الباب التي نحن في صدد الحديث عنها يقيم هؤلاء المشركين الحجة على أنفسهم إذ شهدوا لمن كانوا يسخرون منهم ، ويستهزؤن بهم بالرجولية . يضاف إلى ذلك شهادة أخرى هي قولهم : { **كنا نعدهم من الأشرار** } أي : كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار ، لكن تبين لنا الآن أنهم من الأخيار .

أما لماذا شهدوا هذه الشهادة ؟ فلعلهم لما عاينوا ما حل بهم هم ، وما أعده الله تعالى لهؤلاء المستضعفين نطقت ألسنتهم بالحق ، حين تيقنوا أن هؤلاء الفقراء المستضعفين كانوا حقا رجالا ، وأنهم هم ما كانوا أبدا رجالا .

كان فقراء المؤمنين – مع قلة عددهم وعُددهم ، وهوانهم على الناس – ثابتين على الإيمان ، مدافعين عنه بكل ما يملكون ، حتى بأرواحهم ، فكانت رجوليتهم بمحبتهم لربهم ، وعداوتهم لأنفسهم .

وحقا : إنما الرجل من كان عدوه نفسه وحبيبه ربه .

الخاتمة ونتائج البحث

هذه معالم الرجولية التي ذكرها القرآن الكريم مدحا وتكريما لأناس تحققت فيهم ، فصاروا رجالا ، وكانوا جديرين بهذا الوصف . وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم . إذ ليس مقياس الرجولية في القرآن الكريم بالطول ، أو العرض ، أو السلطة ، أو المنصب ، أو الجاه ، أو السلطان ، أو المال . إنها ليست شيئا ماديا يباع أو يشترى ، بل إنها خلق معنوي لمجموعة من الخصال العظيمة هي جماع الخير كله بها تكتمل الرجولية في الذكور عضويا ، ومعنويا وبدونها تضحى الرجولية في الذكور أثرا بعد عين .

ولهذا قال سيد الخلق ، وحبيب الحق محمد بن عبد الله ﷺ : " **إنه ليؤتى بالرجل السمين العظيم فلا يساوي عند الله جناح بعوضة** "[١] .وقال : " لا يكن أحدكم إمعة ..."[٢].

وقال ﷺ " **رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره**"[٣].

---

[١] - رواه البخاري كتاب التفسير سورة الكهف ومسلم كتاب صفة المنافقين.

[٢] - رواه الترمذي في سننه ٣٦٤/٤، والطبراني في المعجم الكبير ١٥٢/٩ والبزار في مسنده ٤٣٥/٥. عن عبد الله بن مسعود.

[٣] - مسلم في صحيحه باب فضل الضعفاء والخاملين ٢٠٢٤/٤.

فالرجولة كما رأينا وسمعنا ليست كلمة تقال عبثا، وإنما هي كلمة لها تبعاتها وتكاليفها، فاللهم ارزقنا حسن فهم كتابك . آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

١-إرشاد العقل السليم : أبو السعود . ط دار الفكر للطباعة والنشر .

٢-أساس البلاغة : للزمخشري . (ت ٥٣٨). تحقيق : عبد الرحيم محمود . دار المعرفة – بيروت ١٣٩٩هـ .

٣-أسباب النزول . ط مكتبة المتنبي – القاهرة .

٤-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين المختار المكي الشنقيطي الموريتاني المالكي الأفريقي (ت١٣٩٣) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان .

٥-الانتصاف بهامش الكشاف: أحمد بن المنير . ط دار الريان للتراث.

٦-البداية والنهاية : ابن كثير . ط دار الغد العربي .

٧-البحر المحيط : أبو حيان . ط السعادة .

٨-البحر المحيط في أصول الفقه : الإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه د/محمد محمد تامر . كلية دار العلوم –قسم الشريعة . ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٩-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد يعقوب الفيروزبادي (ت ٨١٧) تحقيق / محمد علي النجار .
طـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

١٠-التربية القيادية : لمنير الغضبان . ط دار الوفاء_ المنصورة.

١١-التحرير والتنوير : سماحة الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس .

١٢-تفسير الشيخ أبو زهرة. طبعة دار الفكر العربي.

١٣-تفسير القرآن العظيم لابن كثير . طـ عيسى البابي الحلبي .

١٤-تفسير القرآن لآبن أبي حاتم : تحقيق أسعد محمد الطيب .ط مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة المكرمة والرياض.

١٥-التفسير القرآني للقرآن : الدكتور / عبد الكريم الخطيب . ط دار الفكر العربي .

١٦-التفسير الكبير : الإمام فخر الدين محمد بن عمر الحسيني بن الحسن علي التميمي البكري الرازي الشافعي(ت٦٠٤هـ) طـ دار الغد العربي– الطبعة الأولى ١٩٩١م ١٤١٢هـ.

١٧-تفسير المراغي : صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير المرحوم أحمد مصطفى المراغي . طـ دار الكتاب العلمية- بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

١٨-تفسير المنار:الشيخ محمد رشيد رضا.الهيئة العامة للكتاب.

١٩-التفسير الواضح : الشيخ محمد محمود حجازي . طـ دار الكتاب العربي – مصر .

٢٠-التفسير الوسيط : الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي . طـ دار السعادة – القاهرة .

٢١-التفسير الوسيط للقرآن الكريم :تأليف لجنة من العلماء وبإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية مصر.

٢٢-تهذيب التهذيب:ابن حجر العسقلاني.طـ دار إحياء التراث العربي.

٢٣-الجامع لأحكام القرآن : للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١) طـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م .

٢٤-الجامع البيان للإمام الطبرى .ط دار الجيل ـبيروت .

٢٥-حاشية الجمل على الجلالين. لسليمان الجمل.

٢٦-حاشية الشهاب للخفاجي على تفسير البيضاوي . طـ دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٧- خاتم المرسلين للشيخ محمد أبو زهرة .

٢٨-الدر المنثور.للسيوطي طبعة الفكر.

٢٩-ديوان طرفة

٣٠-الرسول القائد لمحمود خطاب:ط مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ببغداد

٣١-الرحيق المختوم : للشيخ/ صفى الدين المباركفورى .ط دار الحديث.

٣٢-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للعلامة أبي الفضل السيد محمد الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) طـ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٣٣-زاد المسير في علم التفسير : الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت٥٩٧هـ) طـ المكتب الإسلامي ، طـ دار الفكر – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٣٤-زاد المعاد. لابن القيم طبعة الرسالة

٣٥- سنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ) تحقيق : أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة . طـ دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣٦- سنن ابن ماجة : الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيـد القـزويني المعروف بابن ماجة (ت٢٧٥) طـ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

٣٧- سنن أبي داود : الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزرق السجستاني (ت٢٧٥) .

٣٨- سنن البيهقي طبعة دار الفكر.

٣٩- سنن النسائي : الإمام أبو عبد الرحمن النسائي (٣٠٣هـ) بشـرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمـام السـندي . طـ دار الحديث — القاهرة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٤٠- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث:للدكتور على محمد الصلابي .ط دار التوزيع والنشر الإسلامية .مصر.

٤١- السيرة النبوية لابن هشام ط دار الجبل.

٤٢- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهيب .

٤٣- شرح النووي على صحيح مسلم ط دار الريان.

٤٤- صحيح البخاري.

٤٥- صحيح مسلم بشرح النووي : الإمام أبو زكريا النووي (٦٧٦هـ) طـ دار الريان — القاهرة .

٤٦-طبقات الصوفية : للسلمي طبعة دار الشعب.

٤٧-عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : السمين الحلبي . تحقيق : محمد باسل عيون السود . ط دار الكتب العلمية – بيروت .

٤٨-فتح الباري في شرح صحيح البخاري : الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ط دار الريان للتراث – القاهرة .

٤٩-فتح البيان في مقاصد القرآن : أبو الطيب صديق بن الحسن . ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٠-الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية : سليمان الشافعي الشهير بالجمل . ط دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .

٥١-في ظلال القرآن : سيد قطب . ط دار الشروق .

٥٢-القاموس المحيط : لمجد الدين الفيروزبادي . ط دار الحديث

٥٣-قصص القرآن : محمد أحمد جاد المولى وآخرون . ط السعادة .

٥٤-كشاف اصطلاحات الفنون : محمد علي الفاروقي التهانوي . تحقيق: لطفي عبد البديع . ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

٥٥-الكشاف عن الحقائق وغوامض التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للإمام الزمخشري (ت٥٢٨هـ) دار الريان للتراث – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٥٦-لسان العرب : لابن منظور . ط دار المعارف .

٥٧-مجمع البيان في تفسير القرآن : لأبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت٥٤٨) ط دار التقريب بين المذاهب الإسلامية .

٥٨-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ) ط دار الكتاب الرعبي – الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ .

٥٩-محمد رسول الله للشيخ محمد الصادق عرجون .ط دار القلم .دمشق.

٦٠-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : ابن القيم الجوزية ، تحقيق / عماد عامر . ط دار الحديث – مصر .

٦١-الروض الأنف للسهيلي: ط دار الكتب الحديثة .

٦٢-مسند الإمام أحمد .

٦٣-المستدرك للحاكم.

٦٤-المستفاد من القصص القرآني للدعوة والدعاة: للدكتور عبد الكريم زيدان .ط مؤسسة الرسالة.

٦٥-معالم التتريل: للبغوى تحقيق / محمد عبد الله النمر وآخرين .ط دار طيبة الرياض.

٦٦-معاني القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق د/عبد الجليل عبده شلبي.

٦٧-المفردات في غريب القرآن : للراغب الأصفهاني . ط مصطفى البابي الحلبي .

٦٨-من أسرار القرآن دراسة تحليلية لسورة الأحزاب : الدكتور / محمد محمد موسى . ط مكتبة وهبة .

٦٩-المنهج التربوي للسيرة النبوية ، التربية الجهادية : منير محمد الغضبان . ط متبة المنار — الزرقا — الأردن . الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٧٠-موسوعة الغزوات الكبرى :تأليف محمد أحمد باشميل .ط السلفية .

٧١-موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١ : إعداد مجموعة من المتخصصين بإشراف / صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح . ط دار الوسيلة . المملكة العربية السعودية .

٧٢-الموطأ عن أبي بكر بن عبد الرحمن .

٧٣-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبي الحسين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥) خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه/ عبد الرازق غالب المهدي . ط دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٤-النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير . ط دار الفكر - بيروت.

٧٥-النهر المار من البحر المحيط : محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) بهامش البحر المحيط . ط السعادة .

٧٦-هكذا يتحدث القرآن : د/ أحمد الشرباصي . ط دار الاعتصام .

فهرس الموضوعات

صدر حديثاً عن دار المحدثين

صحح نسختك من تهذيب الكمال

باشراف وتقديم ومراجعة

أ.د/ بدران العياري

استاذ الحديث وعلومه المساعد

بجامعة الأزهر



سيصدر قريباً إن شاء الله

ألفيَّات الحافظ العراقي

عبد الرحيم بن الحسين (ت: ٨٠٦هـ)

١- ألفية السيرة النبوية

٢- ألفية نظم غريب القرآن

٣- ألفية علوم الحديث

باعتناء وتقديم

أ.د/ بدران العياري

استاذ الحديث وعلومه المساعد

بجامعة الأزهر



